مقام الانسان





حظ الانسان من الحياة كما هو في مرآة نفسه التي هي ينبوع المطلق ، وليس كما هو في مرآة الوجود التي لا تعكس الا نسبية وظلالاً خادعة مختلطة ...

وان الوجود كائن بسيط وهو لا يملك الا حقائق بسيطة ، واما حقائق الوجود العظمى ، فهي من هبات الانسان على الوجود ...

والانسان ليس كائناً منفصلاً من الوجود فقط ، بل هو اداة خلق وتكميل فيه . فالحياة واشياؤها والوجود المعنوي وفكرته ، بدعة هذا الانسان العجيب ، الذي لولاه لظل الوجود بسيطاً ساذجاً ، خاوياً من الاغراء ...

والوجود المركب اللاذ الذي نشعر به ونحس بروحيته ومعنويته ، ونتشي من ورائهما . كلها حقائق انسانية افرغها الكائن الحي الاعلى من روحه ، على كل الكائن الادنى . فالشجرة اذا ضممناها الينا نجد فيها كائناً نامياً بسيطاً ، ونجد كائناً آخر فيه خلب ونشوة ، ولكن هذا الاخير افتنان انساني فهو لا يوجد الا في حدودنا .

وان الانسان الذي لا يفتأ يطلب كبرياء الوجود ، ويحس بنشوة وجوده في حدود هذه الكبرياء ، بل لا يحس بالوجود بعيداً عنها ؛ ليس كائناً طبيعياً ؛ والا فهو ككائن طبيعي شيء تافه ، مثل اي كائن آخر ، ينمو ويذوي بين فترات من الزمن .

والايمان بالله او المطلق الذي دعت اليه الاديان والفلسفات ، في حقيقته ايمان بالانسان ، وهدم للايمان بالوجود الصامت ، الذي هو وثنية تحول بين الانسان وبين الايمان بنفسه ومعرفتها ، والى هذا يرمز قول قديم مأثور (من عرف نفسه فقد عرف ربه) .

فالانسان كائن إلاهي اذا فهم نفسه ، وكلما رسب الى الطبيعة وآمن بقواهـا ، فقد رسب وتلاشى في غمار الوجود الصامت ، وعاد كحفنة هامدة من الرمال . والاديان والفلسفات بشرت بالانسان وحاربت الوثنية ، لانها كفر به وارتداد الى تأليه مظاهر الوجود الجزئية الخادعة وجاءت ايضاً بتوحيد الآلهة ، لانها كلما تعددت فقد تلاشى الانسان في ساحتها . فالتوحيد نقل لاكثر صلاحيات الآلهة لتكون داخلة في صلاحيات الانسان ، فليس في الوجود الا الله ، ليكون الانسان كل شيء في الوجود .

وما انكسف قمر الانسان في امة ، وارتدت بمعنويتها الى الطبيعة دون الانسان ، الا هوت مضمحلة وكان ذلك اول علائم احتضارها . فان الانسان وحده هو الحقيقة الكبرى في الحياة والوجود ، (فقد خلقه الله على صورته) .

ومثل هذا الايمان اذا خبا ، حل محله جهل الانسان قيمته ، وهو مع هذا الجهـل يفضي افضاء سريعاً الى الضعف والاسترخاء ، بل الى التلاشي والفناء . فالمثل العليا والمعنويات الخالدة — وهي تتدفق من ينبوع المعرفة بالنفس — لا يعود لها وجود في جوه وفضائه ، فيسيطر عليه نوع حاد من التفاهة يقعد به عن المجد ، ونوع حاد آخر من الملال يهبط به الى الرغام .

عبد الله العلايلي

نظرة في جامعة الدول العربية

بقلم
كمال جنبلاط
عضو مجلس النواب اللبناني

يلذ لي ان اتجرد زمناً عن مشاغل السياسة المضنكة فاقوم بدرس حقوقي وسياسي وجيز – كنت اريده كاملاً – للاتفاق الدولي او بالاحرى مشروع الاتفاق الدولي الذي وافقت عليه اكثر دول المؤتمر العربي المنعقد في مصر .

فكرة امثال هذه الكتل السياسية : لا شك ان تطورات السياسة والاقتصاد والعلم والفن والمجتمع التي يتمخض بها العالم تسير بدول الارض الى تحقيق اوضاع سياسية واقتصادية اوسع فاوسع على كر الايام فالتعاون بين الامم سيزداد نمواً ووثوقاً مضطرداً لاسباب عدة نذكر منها :

١ – سرعة المواصلات وكثرتها بين ارجاء العالم : فعالم مابعد الحرب سيضرب لنا في هذا الحقل قياساً لا يمكننا ان نتخيله الا اذا تصورنا ان المسافر سيقطع المحيط الاطلسي طائراً من اوربا الى اميركا باقل من خمس او ست ساعات . فالعالم تقصر بين حدوده المسافات والابعاد ويتقلص وينكمش ابداً على نفسه .

٢ – كثرة وسرعة اساليب التفاهم بين شعوب الارض .. فالراديو وانتشار الكتب والصحافة والالمام بلغات مختلفة (Polyglottisme) والسعي نحو توحيد المنطق واسس العلم العامة الخ . كل هذه العوامل تقرب كثيراً وتساوي بين طرق التفكير والشعور والمعيشة والروحيات المختلفة ..

٣ – النظريات الاقتصادية الحديثة التي ترمي لازالة الحواجز الجمركية بين جميع بلدان العالم او على الاقل بين دول كتل اقتصادية معينة (Libre-échange)

٤ – انتشار وقبول الفكرة التي تسعى لقيام منظمات دولية قوية تشرف على تطبيق القانون الدولي وتمنع الخلافات الدامية بين الامم وتضمن السلام للكون وتحافظ على القيم البشرية والمدنية العالية .

ان هذا التيار التعاوني الشديد الذي نشعر بقوته اليوم يرمي في الواقع وفي النهاية الى تحقيق الاتحاد السياسي العالمي المنشود (Fédération mondiale) او الدولة العالمية .. وما هذه الكتل السياسية الا خطوة تمهيدية لبروز هذا الاتحاد العالمي المنشود الذي – ان قصر العمر ولم نشاهده سيشاهده حتماً ابناؤنا او احفادنا – هذا الاتحاد العالمي هو اليوم في مدى المنطق وحقل المعقول ..

ونلاحظ ان هذا التيار التعاوني لا يتنافى مطلقاً – بل بالعكس – مع فكرة التنوع القومية وبروز وبقاء المميزات الاقليمية والعنصرية والثقافية واللامركزية على انواعها واشكالها هو مبدأ فلسفي وحقوقي واقعي لا يمكن للعالم ان يتنكر له وهو مبدأ التنوع ضمن الوحدة في داخل الدولة وخارج الدولة (Diversité au sein de L'unité)

فكلما اشتدت اواصر التعاون بين الدول بسبب تقدم المدنية البشرية كلما ظهرت في الوقت نفسه وزادت بروزاً الفوارق والعلامات المميزة وعوامل التنوع بينها Les éléments de différenciation كما انه كلما تقدمت المدنية شاهدنا بروزاً اكبر وتنوعاً اكثر للشخصية وللعبقرية البشرية وللعادات والتقاليد ضمن حدود كل دولة من دول الارض .

المبادىء الحقوقية التي ترتكز عليها هذه الكتل : ١ً مبدأ الاستقلال السياسي النوعي والسيادة النسبية او المحدودة لكل من الدول التي تؤلف الكتلة . فمبدأ السيادة المطلقة قد انقضى زمنه .

واعني بالسيادة : حق الدولة ان تتخذ مقررات نهائية في الشؤون العامة Le droit de commander en dernier ressort (Le Fur)

وهذه السياسة هي نسبية في دول الكتل السياسية لان حق الدولة في الامر والنهي لا يشمل بعض الشؤون العامة التي يرجع

امر البت فيها نهائياً لكتلة الدول ذوات العلاقة باعتبارها كتلة او مجموعة سياسية .

فالسيادة النسبية التي تبقى لدول الكتلة السياسية هي في الواقع تنازل من جانب هذه الدول عن قسم من حقوقها الدولية ، تنازل يقتضيه تطور المدنية البشرية وفكرة التعاون بين الدول .

٣ – مبدأ التعاون السياسي والثقافي والاقتصادي والمهني والفني الخ . ويختلف مدى هذا التعاون بين كتلة وكتلة .

انواع هذه الكتل الثلاثة : ١ – الرابطة او ال Gonfédération ٢ – عصبة الامم او جامعة الامم الدولية . ٣ – جامعة او مجموعة الشعوب البريطانية او ال Commonwealth

١ – الرابطة او ال Confédération : وهي مجموعة من الدول يظل اعضاؤها متمتعين بالسيادة الوطنية :
Union d'Etats souverains

والرابطة تتضمن سلطة مركزية ضعيفة واولية . وهذا الضعف في السلطة المركزية هو الباعث لعدم وجود نظام رابطة واحد اليوم على وجه الارض طراً ، اذ ان الرابطة اما ان تنقلب اتحاداً كما حصل في سويسرا والولايات المتحدة وبولونيا وهولندا والمانيا الخ . واما ان يرجع المتعاقدون الى حريتهم وسيادتهم المطلقة الاولى .

والرابطة عموماً مجلس أعلى يسمى الديات (Diète) وهي جمعية وزراء مفوضين لا يتخذون قراراتهم الا بالاجماع ، وليس لهذا المجلس اية سلطة تشريعية او تنفيذية .

ويغلب ان يكون للرابطة رئيس او امبراطور . ولكن وظيفة وسلطة هذا الامبراطور او الرئيس هي شرفية لا غير ، فهو ينفذ قرارات الرابطة في دولته الخاصة بينما حكومات بقية الدول هي التي عليها وحدها ان تنفذ قرارات الرابطة كل دولة فيما يختص بها . وكما قلنا ان الرابطة نظام موقت تمر به الدول اما للاتحاد وهو الغالب وإما للانفصال وهو القليل .

٢ – عصبة الامم الدولية الماضية : لهذه العصبة شخصية دولية تملك بعض حقوق السيادة الدولية ، ليست بالدولة او دولة فوق الدول Super Etat . تدخل في هذه المنظمة كل دولة مختارة لا مكرهة . وتحتفظ كل دولة من هذه الدول بسيادتها ولكنها سيادة نسبية تحدها الحقوق الدولية الممنوحة لشخصية عصبة الدول والتي يقرها لها الحق الدولي العام . ولا يمكن لاية دولة ان تحد مجدداً من هذه السيادة النسبية الا بموافقة الدولة صاحبة العلاقة .

وكل دولة من الدول التي تشملها العصبة تظل محافظة على ارضها وجنسيتها واسمها وبيرقها .

وليست لعصبة الامم سلطة تنفيذية او تشريعية دائمة هذا اذا اعتبرنا ان الحكمة الدولية الدائمة في لاهاي ليست فرعاً من عصبة الامم نفسها وليس للعصبة ادارة او مصلحة دائمة الا امانة سر وليس لامانة سر العصبة اقل سلطة من هذا النوع .

اما مجلس العصبة فهو في الواقع مجلس وزراء مفوضين As-semblé de plénipotentiaires يتخذ مقرراته بالاجماع ما خلا بعض الاحوال القليلة الشاذة .

ما هي عصبة الامم من وجهة الحقوق الدولية .

هل عصبة الامم رابطة امية ؟ . . ان وجوه الشبه بين الرابطة وعصبة الامم كثيرة أهمها ان الدول ضمن الرابطة كما هي ضمن عصبة الامم تبقى محافظة على سيادتها النسبية . . وبعض اساتذة الحقوق الدولية كالمستر Redslob لا يفرق بين الرابطة والعصبة. على ان هناك نظرية مقبولة بوجه شامل تقول بان بين الرابطة والعصبة فوارق جمة منها :

١ – ان عصبة الامم اسست لتشمل جميع دول الارض ولكن في الواقع كانت تشمل اكثرها (٥٠ دولة من اصل ٧٠ سنة ١٩٣٨) اي ان عصبة الامم كتلة دولية عالمية بينما الرابطة تختص ببعض الدول فقط التي تجتمع لا لمنع الحرب فيما بينها بل لقرابة بينها عنصرية او لغوية او دينية او غيرها من المصالح (الاستاذ Le Fur)

٢ – يوجد احياناً على رأس الرابطة امبراطور او رئيس . . وهذا الرئيس او الامبراطور يمنح بعض السلطة المركزية لمجلس الرابطة (او ال Diète) فالاعضاء ملزمون بقرارات المجلس بالنسبة التي ساهموا بها في اقرارها لك الرابطة « فمقررات الرابطة تربط الاعضاء»
La décision des organes centraux lie les membres (Le Fur).

اما في العصبة فالقاعدة ما خلا بعض الشواذات القليلة فهي الاجماع في كل قضية خاصة حتى في القضايا التي اعترف بحق تقريرها للعصبة .

اما هدف العصبة الاكبر فهو منع نشوب حروب بين الدول والتحكيم في الخلافات الدولية .

وقد نوه المسيو لرنود Larnaude عن نظرية براقة لا يمكننا ان نمر بها دون ذكرها وهي ان عصبة الامم هي نوع من النقابات Syndicat ولكن نقابة دول لا نقابة افراد .

اذن فعصبة الامم او جامعة الامم هي تحالف alliance

دولي غايته منع نشوب الحرب والتحكيم ولها في الوقت نفسه شخصية دولية مميزة sui generis حقوقية دولية .

اما فروع الجامعة او العصبة فهي :

١ – الجمعية (assemblée) وفيها ممثلون لجميع الممالك المستقلة استقلالاً تاماً او استقلالاً نوعياً كالدومنيون وربما كانت غير مستقلة كالهند مثلاً .. والقاعدة هي المساواة في التمثيل .

٣ – منظمة مجموعة الشعوب البريطانية :

Commonwoalth of nation

وهذه المجموعة ليست بالرابطة ولا بالاتحاد .. « وربما كانت صورة مصغرة عن جمعية الامم الدولية (لفور) » وليس لها مجلس اعلى ولا دوائر او مصالح دائمة . بل انرؤساء وزراء الممتلكات المستقلة وممثلي الدول غير المستقلة يجتمعون عندما تدعو الحاجة ويتناقشون ويتفاهمون ويتفقون على القضايا المهمة المطروحة على بساط البحث دون اللجوء الى التصويت العلني ..

وآخر اجتماع لمجموعة الشعوب البريطانية حصل في لندن في فبراير سنة ١٩٤٤ ودار البحث فيه حول قضية نهج سياسة خارجية موحدة لدول الـ Commonwoalth او المجموعة فرفضت كندا هذا الاقتراح الذي تقدم به المارشال سمطس وكان ان فشل هذا الاقتراح .

(فبراير Economist)

وقد لجأت بريطانيا في ايام الحرب الى خلق ما يسمونه مجلس الحرب الاعلى لمجموعة الشعوب البريطانية .

ومجموعة الشعوب البريطانية مبنية على اساس اقوى من كل علاقة وهو المصلحة المشتركة وبلغ هذا النظام من التطور والمرونة ما لم يبلغه نظام آخر غيره على وجه الارض منذ اقدم احقاب التاريخ .

وجاءت هذه الحرب اكبر برهان على تمسك جميع الدول والممتلكات المستقلة بهذا النظام ، بينما رأينا جامعة الامم الدولية الماضية تنفسخ وتنهار وتسفر عن فشل ذريع ...

جامعة الدول العربية : يظهر لاول وهلة ان الجامعة العربية هي جامعة او عصبة دول كالجامعة الامية التي كانت موجودة في جنيف ولم تزل موجودة اذ انها لم تبلغ من الوجهة الحقوقية .

ولكن هناك فوارق بين تلك الجامعة وجامعة الدول العربية منها :

١ – من جهة السلطة المركزية .. فقد رأينا ان لجامعة الامم في جنيف جمعية عامة ومجلساً .. وليس هناك ما يشابه هذه المصالح في جامعة الدول العربية . ولكن هذا فرق بسيط . وهناك فروقات اهم :

٢ – ان الجامعة الدولية في جنيف كانت جامعة دول عالمية اسست لتدخل فيها مبدئياً جميع دول الارض .. اما الجامعة العربية فهي جامعة صغيرة نسبياً واشبه بنقابة دولية صغيرة يدخل فيها من شاء ويتركها من شاء .

٣ – اختلاف من حيث الهدف .. ان الجامعة الدولية في جنيف اسست خاصة لتلافي نشوب حروب جديدة في المستقبل وهذا هدفها الاساسي الاكبر ..

اما المجموعة العربية فرغم انها ترمي الى مثل هذه الغاية السامية – ومن هذه الناحية يمكننا ان نعتبرها جامعة امم – لها ايضاً وخصوصاً اهداف تعاونية اساسية واسعة النطاق في جميع حقول السياسة والاقتصاد والثقافة – ومن هذه الناحية فهي كونفدرسيون اي رابطة دول –

وهي ربما اكثر من رابطة في بعض النواحي اذ انها تؤلف من الوجهة السياسية شبه تحالف سلبي وايجابي وهو موجه خصوصاً ضد اي دولة معتدية اجنبية : وهذا يستنتج من التقييدات الموضوعة لسياسة الدول العربية صاحبة العلاقة ..

ومما يزيد في اعتقادنا ان هذه الجامعة العربية هي – من بعض جهاتها – رابطة امم تقارب وتشابه مصالح الدول صاحبة العلاقة من دين ولغة ومصالح قومية وسياسية واقتصادية ، هذا التقارب الذي رأيناه اساساً لبناء وقيام اية رابطة في العالم .

فهذه الجامعة العربية هي مخلوق دولي عجيب في الواقع واداة دولية جديدة ولدتها ادمغة المؤتمرين العرب في الاسكندرية .. فهي جامعة امم ورابطة دول وتحالف alliance في آن واحد .

لبنان وكونكورداتو الاسكندرية : ان فكرة الجامعة الدولية قد حلت مشكلة هي في الواقع من اصعب وادق مشاكل الشرق الادنى الا وهي التوفيق بين تحقيق التعاون السياسي بين البلدان العربية وتشبث كل بلد منها باستقلاله السياسي ..

وربما ستلقى الفكرة اللبنانية نفعاً كبيراً من هذه الجهة .. اذ ان دعاوة الوحدة العربية وفكرة الوحدة العربية التي كانت تهدد كيان لبنان منذ امد بعيد قد تبلورت في اداة وتجسمت في منظمة تضمن للبنان هذا الاستقلال وتبعد عنه نهائياً شبح الاندماج والاتحاد الذي يروع الكثيرين من اللبنانيين ..

ولكننا نرى من جهة اخرى ان جامعة الدول العربية هي

ايضاً رابطة دول كما سبق واوردناه ، وان نظام الرابطة يؤدي غالباً الى اتحاد سياسي بين الدول صاحبة العلاقة .. هذا ما ترقبه في الغالب . وهناك امثلة كثيرة في التاريخ تدلنا على ان هذا التطور كثير الاحتمال كما حدث مثلاً لسويسرا سنة ١٧٩٥ ، ولرابطة جرمانيا سنة ١٨٧١ ولرابطة الولايات المتحدة سنة ١٧٨٧ الخ ..

فهل تكون جامعة الدول العربية مرحلة في سبيل توحيد او اتحاد هذه الدول ؟ .

اشياء غامضة يجب ايضاحها : مثلاً ورد في البروتوكول : « لايجوز باية حال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية او اية دولة منها » . وهي فقرة يجب ابدالها لغموضها بالفقرة التالية التي تعني المقصود : « لا يجوز باية حال اتباع سياسة خارجية عدائية الخ .. » وهذه الفقرة الاخيرة نجدها في كثير من المعاهدات والاتفاقات الدولية .

ثم هناك مسألة لم يرد عنها شيء في البروتوكول وهي طريقة تحوير البروتوكول . ايكون الاجماع ضرورياً ام يكتفى بالاكثرية ؟ .

فان صك جامعة الامم الدولية في جنيف يطلب موافقة جميع اعضاء مجلس العصبة ولكنه يكتفي باكثرية اعضاء الجمعية assemblée

ثم طريقة اللجوء الى التحكيم فهي مبهمة .. ما هي اصول هذا التحكيم Procedure هل يبنى هذا التحكيم على المنطق وحسن الدراية ام على القوانين الدولية والحق الدولي ..

واني لا اخفي رغبتي في ايجاد محكمة دولية لفض الخلافات بين دول الجامعة العربية — اذا بقيت هذه الجامعة على النظام المنصوص عنه في البروتوكول — كمحكمة لاهاي الدولية التي تبني احكامها على القانون الدولي ..

وهناك اسئلة اخرى : هل يعتبر لجوء احدى دول الجامعة العربية الى التحكيم امام منظمة السلم المقبلة او الى المقاضاة امام محكمة لاهاي الدولية ، هل يعتبر عمل هذه الدولة مضراً بسياسة الجامعة العربية ؟ . واذا كان الامر كذلك فما هي سياسة هذه الجامعة العربية ؟.

هل من شروط للانضمام لجامعة الدول العربية ؟ .. هل نقبل غداً ان تنضم الى دول الجامعة دولة من عبيد افريقيا او السنغال او من احدى جزر السند ؟ . وكيف يتم هذا الانضمام ؟ .

وهناك سؤال ضخم في نتائجه : اذا الفريقان المتخاصمان قبلا ان يحتكما امام المجلس الاعلى للجامعة العربية ولم يذعن المحكوم عليه لقرار المجلس — وهذا القرار الزامي في مثل هذه الحالات — فما هي وسائل تنفيذ مثل هذه المقررات ؟ . القوة المسلحة ام العقوبات الاقتصادية ام غيرها من العقوبات الخ . لا نرى حلا لهذه المشكلة في نص البروتوكول ..

ويمكنني ان اورد كثيراً من هذه الاسئلة فهناك قضايا ومسائل كثيرة يجب ايضاحها في البروتوكول .

هل تحقق جامعة الدول العربية التعاون الذي تصبو اليه ؟ ان الجواب على هذا السؤال هو في فم القدر . ولكن يمكننا ان نتساءل هل تفشل هذه الجامعة كما فشلت جامعة الدول في جنيف؟ وهل من المرغوب فيه ان يلجأ المجلس الاعلى الى التصويت ؟ وهلا ينتج عن هذا التصويت العلني — كما حصل في جامعة امم جنيف سابقاً — هلا ينتج عن هذا التصويت العلني نفور متزايد بين دول الجامعة العربية عوضاً عن التقارب والتفاهم المنشود ؟..

ربما كان افضل ان لا يأخذ البروتوكول بنظرية التصويت العلني وخصوصاً ان هذا التصويت يجب ليكون ملزماً ان يكون اجماعياً .

لقد برهنت الاختبارات السياسية والتاريخية الدولية ان طريقة الاجتماعات الدورية التي ينهج عليها دول جامعة الشعوب البريطانية وكتلة الدول الاميركية هي افضل من المجالس العليا والتصويت العلني . وهذه الاجتماعات الدورية تقضي بان يجتمع رؤساء وزراء وممثلو دول الجامعة البريطانية في مكان ما فيتباحثون ويتناقشون ويتفقون او لايتفقون دون اللجوء الى وسيلة التصويت العلنية التي فيها نوع من الالزام والاكراه .. واورد على قولي بعض الشواهد :

١ — قضية القمح بين لبنان وسوريا : للبنان فائدة ان يشتري ما يعوزه من القمح من اوستراليا وحتى من كندا طالما ان زراعة الحبوب في سوريا لم تزل في طور اولي وتتطلب اكلافاً باهظة لا تسمح لها بمجابهة السوق العالمية .

٢ — قضية القطن المصري : ربما كان للبنان او سوريا فائدة في استيراد القطن من اميركا — وهو الواقع

وما نقوله عن القطن والقمح يمكننا ان نقوله عن كثير من المواد الاخرى التي يستوردها لبنان . لان لبنان — عكس بقية دول الجامعة العربية — بلد فقير يستورد كثيراً ويريد ان يستورد

باسعار بخسة المواد التي هو بحاجة اليها .

وما نقوله عن لبنـان نقوله عن سوريا في قضية المنسوجات والفاكهة وغيرها من المواد ونقوله عن العراق في قضية زيت الزيتون والصابون الخ . .

هذه امور لا بد ان تطرح على بساط البحث امـام مجلس الجامعة الاعلى ولا بد ان تختلف عليها دولة ودولة – ولم نذكر هنا الا الخلافات الاقتصادية رغم ان حقل الخلافات يتسع لقضايا كثيرة اخرى . فالتصويت على مثل هذه الامور والخلافات – اذا لم يراع الحق والمساواة – سيوسع شقة النفور بين دول الجـامعة العربية ، بينما اذا لم يكن هنـاك تصويت علني يبقى المؤتمرون مجتمعين يتناقشون الى ان يتم الاتفـاق على تسوية معقولة توافق الطرفين المتخاصمين .

انني شخصياً – في الحقل الاقتصادي – من القائلين بفكرة تكتل الدول العربية الاقتصادي Bloc économique pan-arabe والتي هي في الواقع نوع من الاتحادات الاقتصادية . . ولكن لهذا التكتل الاقتصادي شروط – كما اشرت مطولا في عدة محاضرات – وله قواعد تحفظ وتضمن العدل والمساواة بين اعضاء هذه الكتلة الاقتصادية .

لقد قمنا بهذا الدرس الحقوقي والسياسي وتطلبنا فيه التجرد العلمي ، استطعنا وسط هذه النظريات والمشاحنات المتناقضة والمعاكسة حول مشروع اتفـاق الاسكندرية يحدونا الى ذلك حرصنا اولا على توطيد علاقات التفاهم والتعاون بين دول الجامعة العربية وثانياً حرصنا على مصلحة لبنان خاصة . . آملين ان يأخذ مشروع جامعة الدول العربية النهائي بالملاحظات التي وردت اعلاه .

اما فكرة هذه الجامعة العربية نفسها وامثالها في العالم فلنترك لبعض الانعزاليين حق انتقادها ما شاؤوا . فلهم فكرتهم ولنـا فكرتنا . ولن يضر انتقادهم ولن يؤخر في تطور العالم شيئاً . .

لهم فكرة العزلة يضعف فيها لبنان ويذوي بمادته وروحه من الضنك والاختناق والانانية القومية . . ولنا فكرة التعاون بل و بين جميع دول الارض قاصيها ودانيها في سبيل المحافظة على مثل المدنية العليا والقيم البشرية الخالدة ، وفي هذا التعاون نشاط وقوة مضاعفة وفيه هدي وعدل ومحبة ورحابة انسانية . . . !

كمال جنبلاط

حمامتان

ساجع حنّ الى ذات جناح
والدجى في الافق كالستر المزاح

صفقا بشراً وطارا فرحاً
بسنا الفجر وريعان الصبـاح

لمعت في الشمس من طوقيهما
درر تزري باطواق الملاح

لم تجد عينيَ احـلى غزلا
لا ، ولا الطف من ذاك المراح

ما بدت غنى لهـا مغتبطاً
فان استخفت شجاها بالنواح

لو ترى منقـاره يعبث في
جيدها طلقاً برفق وسراح

خلته ثغر محب دغدغت
شفتـاه نحر غيداء رداح

طالما طاف بها يدعو وكم
ملك السبل عليها والنواحي

يسحب الذيل ويرخي طرفاً
من جناحيه مدلاً كالوشاح

هادراً يقرأ بالرأس كمن
يقرأ الآي بتقوى وصلاح

خلته لمـا ربا حيزومه
زامراً ينفخ زقاً في سماح (١)

مشرف طوراً وطوراً مقمح
يتنزى هائجاً صعب الجمـاح

خافض آنا جناحاً للثرى
انه القى اليهـا بالسلاح

لم يزل يفتـل حتى استسلمت
فاذا زيافة تعطو لشاح

رفرفا والتحما واختلجـا
رب رقص كان في زي كفاح

كلما قبلها من فمهـا
قبلة اودعهـا تحت الجناح

ظامىء لا ترتوي غلته
لاب كالهيمان من فرط التياح

يتهادى مستزيداً وله
حولها ضوضاء عربيـد وقاح

أتراه علّ من ريقتهـا
أم تراه عبَ في خمر صراح

حينما همّ وهمت خضعت
فحبـا ذا نزوان وطماح

وجناحاه عليهـا نشرا
كلة تخفق في هوج الرياح

سحبت ذيلاً على مـا خطه
برثن فوق الثرى سحبة ماح

أترى عفت على الآثار من
حذر الكاشح ام خوف افتضاح

وتلاها تابعـاً لا ينتهي
حيث طارت بغدو ورواح

*

هيجا تذكار ايام الصبى
ويح قلب الصب من نكء الجراح

ليس من ساغت له خمر اللمى
مثل من يشرق بالمـاء القراح

لا اروع الطير في اوكارهـا
قد بلوت المر من كيد اللواحي

دمشق

خليل مردم بك

(١) ضرب من انواع الرقص

رجل غير وجه التاريخ!

بقلم كرم ملحم كرم

لولا ان تهب الايام للمسلمين قائداً وهادياً، كالسلطان صلاح الدين الايوبي، لطال النزاع وتمادى الهوان. ولكن صلاح الدين اطل بسيفه الصقيل، فامحت الخشية وازدهى الاسلام. وصلاح الدين لا ينتمي الى قبيلة من تلك القبائل المعتزة بلسان الضاد . فهو كردي النسب ، تغلب عليه العجمة ، الا انه نشأ تحت هذه السماء، وامتزج بالقوم ، وايقن ان مصالحهم مصالحه ، وانه بات منهم ، فلا غنية له عن خدمة قضيتهم ، وهي قضيته ، بكل ما يملك من موهبة وضاءة ، وناهية مخصاب .

وليس لصلاح الدين حسب واضح الجاه وهو يكاد يكون ابن نفسه . فكل ما انتهى اليه في علم الانساب انه حفيد شادي، او شاذي ، وان شادياً جده اتصل، وهو في دوين، بدولة مسعود بن ملكشاه ، السلطان السلجوقي وتولى قلعة تكريت القائمة بين الموصل وبغداد . ومات شادي فحل محله ابنه نجم الدين ايوب ، يسعفه اخوه اسد الدين وهو دونه سناً ، الا انه بادي العزم ، بعيد المضاء . وتلاحى اسد الدين واحد ضباط القلعة، وعجز اسد الدين عن امساك عنانه في غضبته، فبطش بالضابط لا يحفل بالدم المسفوك .

على ان هذا الدم قضى عليه وعلى اخيه بالنأي عن القلعة . فالوالي اقالهما وابعدهما عن ولاية بغداد بكاملها . وكان صلاح الدين يومذاك طفلا ، بل قيل انه ولد في ليلة جلاء ابيه وعمه عن ذلك الحصن الموكول اليهما . وبكى الطفل بكاء عالياً لا ينقطع خيطه ، فتشاءم منه ابوه ، وهمّ بذبحه لولا الكاتب المسيحي العامل في خدمة نجم الدين . فالكاتب ابى على الوالد الحانق الانتقام لنفسه من الوليد الخلي .

والى من يلجأ نجم الدين في محنته ؟.. الى عماد الدين زنكي صاحب الموصل . فليس يجهل عماد الدين فضل الاخوين عليه يوم هب لنجدة السلطان مسعود بن ملكشاه في مقاتلة الخليفة العباسي، وانكفأ الى القلعة تضعضعه الهزيمة . فاحسن اليه الاخوان وانقذاه وجيشه من الهلاك . ومهدا له السبيل الى اجتياز دجلة بامان . فحفظ لهما عماد الدين هذا الصنيع وما خطوا في ساحه حتى وهب لهما منصبين عاليين في الجيش . ووضح له حسن بلائهما فعهد الى نجم الدين بشؤون بعلبك، يوم باتت له المدينة في سنة ١١٣٩ .

ولكن دمشق لم تنم عن ضياع بعلبك منها . فما اغض عماد الدين زنكي عينيه، ونهض ولداه يقتسمان مملكته ، حتى طالب الدمشقيين استعادة بعلبك . فباحثوا في مطمعهم نجم الدين ايوب ، محافظ المدينة . فلم يجد بداً من الاذعان والدولة الزنكية في مهد التقسيم، وليس من يعلم اي مآل تبلغه وتطمئن اليه. ولكن نجم الدين لم يطلق للدمشقيين ايديهم في بعلبك الا وقد اطلقوا يديه في ضياع فسيحة بجانب دمشق ، ووقفوا عليه منزلا فخماً في دمشق نفسها يقيم فيه .

وسادة دمشق يومذاك آل طغتكين. فاستأنسوا بنجم الدين وادنوه منهم ، وما بخلوا عليه بمنصب قائد القادة في جيشهم . واقتسم ابناء عماد الدين زنكي مملكة ابيهما . فولي اعلاهما سناً الموصل وما اليها. وملك حلب اخوه محمود نور الدين . وفي جيش هذا الفتى المقدام شغل اسد الدين شادي منصب القيادة العليا كأخيه نجم الدين في دولة آل طغتكين. وآل زنكي يطمعون في دمشق. طمع فيها عماد الدين الاب كما طمع فيها الابن سيد حلب. بيد ان آل طغتكين ابوا ان يهبوها لقمة سائغة وهم سادتها . وكادت تقع الواقعة لولا الاخوان نجم الدين واسد الدين وكل منهما القائد الاول في الجيشين المتطاحنين . فما غاب عن نجم الدين ان سيد حلب ابن ولي نعمته . فوفق بينه وبين آل طغتكين واباح له دمشق . فوليها السيد الزنكي ونادى فيها بنفسه سلطاناً ، وكافأ نجم الدين بمنصب حاكم دمشق . وفي دمشق نما صلاح الدين الايوبي في كنف ابيه . فما احس ما عانى هذا الاب من شقاء لبلوغ مكانته السامقة ، ولم تقع عيناه على الدنيا الا وهو في احضان النعمة والمجد . ابوه حاكم المدينة ، وعمه قائد الجيش .

ولما استنجد وادي النيل بسلطان دمشق من الصليبيين دفع السلطان قائده ، اسد الدين ، الى نجدة المستغيثين به. فجهز القائد حملته ، وابى على صلاح الدين ابن اخيه الا ان يكون بجانبه وقد لاحت له فيه مخايل الاقدام . وبلغ واياه وادي النيل في جيش مكتنز اللحمة ، واذا المستغيث بهما يخشاهما ويمانع في دخولها العاصمة . فنقم عليه اسد الدين ودعا ابن اخيه الى احتلال بلبيس، فاحتلها صلاح الدين. وباحتلالها بات الصديق عدواً ، والعدو صديقاً. فمن استعان بهما على الصليبيين ، ليتقي كيد خصمه المنادي اليه الجيوش الصليبية ، مال الى الصليبيين يطلب منهم انقاذه من نجدة

الزنكيين .

والصليبيون يشوقهم امتلاك وادي النيل . فما وقع في آذانهم النداء، حتى كان ملكهم، ملك القدس، يوفد الى مقاتلة اسد الدين قوات ضايقت الجيش الشامي في معاقله، واهابت بسلطان دمشق الى الاصطدام بالصليبيين في الشام وفلسطين للتخفيف عن جيشه المكافح في بلبيس . ولقد خفف عنه . وقبل الصليبيون عقد الصلح يفسحون لاسد الدين وابن اخيه العودة بقواتهما من حيث اقبلا .

على ان اسد الدين عاد من وادي النيل وفي نفسه حنين اليه . فافاض في التحدث عن عظمة هاتيك البلاد وغناها . وظل بالسلطان محمود نور الدين زنكي حتى اجاز له فتحها . فانطلق اليها بالفي مقاتل وحط عصاه في الجيزة . فباغته الصليبيون فاحتمى بالصعيد . فلحقوا به فقاتلهم وهزمهم في موقعة ابدى فيها صلاح الدين كل دهاء . فقد ولاه عمه قلب الجيش، فنهد الى الخدعة ولوّح بالهزيمة . فانقض عليه الصليبيون، واذا الجناحان يطبقان ويبددان منهم الشمل .

ومشى اسد الدين الى الاسكندرية ونادى بابن اخيه صلاح الدين حاكماً عليها . ففجأها اسطول صليبي . فجابه الشاب الايوبي الاسطول نحواً من سبعين يوماً لا يبيح له منه مغمزاً . الا ان الصلح قضى على الآمال المتأججة، وعاد اسد الدين وصلاح الدين الى دمشق وفي النفس ما فيها من الشجو الدوي .

وتواثبت المطامع في حنايا الصليبيين، وعاظمهم ان يفلت منهم وادي النيل، فعبثوا ببنود الصلح وغزوا بلاد الذهب الدفاق . فخشي منهم سيدها على حياته وعزه، وكتب الى سلطان دمشق يستحلفه بكل مقدس لديه دفع الاذى الطاغي . فلم يجد ابن عماد الدين زنكي من طيب الاحدوثة ان ينام عن النجدة . فندب لها اسد الدين نفسه . وشدد اسد الدين على ابن اخيه في ان يصحبه فمانع صلاح الدين . وقد يكون القي في الغزوة تعباً لا تعقبه جدوى . على ان اسد الدين، وهو يعلم ما يتقد في ابن اخيه من مزايا التفوق، لم يخط في جيشه خطوة واحدة الا وبجانبه ابن اخيه .

وعلم الصليبيون باقبال المدد فصدموه . ولكن الصدمة زعزعتهم فولوا مغلوبين . وصفا الافق لاسد الدين وابن اخيه فبطشا بسيد وادي النيل وكان يهم بالبطش بهما، بل همّا اوثقاه ودفعاه الى الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله، فدق عنقه .

واضحت الكلمة كلمة اسد الدين . الا انه لم يعش طويلا، فقضى سنة ١١٦٩ وهو يلقي زمام الحل والنهي بين يدي ابن اخيه . واتسع المجال امام صلاح الدين فدعا اليه اباه واخوته وانسباءه وجاد عليهم بمناصب الدولة، ووطد في الاهلين العدل، ودان بالحق . وما نسي نور الدين زنكي سلطان دمشق مولاه، فنادى باسمه بعد اسم الخليفة الفاطمي . ومع كون صلاح الدين سنياً، والخليفة الفاطمي شيعياً، فقد صانه الشاب الايوبي عن الهوان . ووادي النيل يومذاك شيعي باجمعه — والناس على دين ملوكهم — وحسن السياسة يقضي بمجاملة الاهلين . فذهب لصلاح الدين صوت فوّاح حببه الى الجميع . ولما غزا الصليبيون دمياط مشى وادي النيل كله لمقاتلتهم تحت لواء صلاح الدين . وخاف سلطان دمشق على وادي النيل ان يفوته وصلاح الدين اضحى فيه سيداً . فنادى اليه الشاب . فاجاب صلاح الدين الدعوة بخطوات وئيدة . بيدانه تحامى لقاء السلطان بحجة ان اباه عليل . فكل منهما خشي صاحبه . على ان صلاح الدين لم يشأ ان يخلع السلطان الزنكي عن وادي النيل . ولا نادى بالعصيان . فظل يعالن آل زنكي الولاء . وما تباطأ في اقامة الخطبة للخليفة العباسي يوم دعاه سلطان دمشق الى اقامتها، ولكن بتؤدة ولين . فان موقفه لفي منتهى القلق . الفاطميون ناقمون عليه وقد نزع منهم المناصب، وقطع عنهم الجعائل . والسودانيون غاضبون وقد فتك بمؤتمن الخلافة المستنهض عليهم همم الصليبيين . والصليبيون يهوون في وادي النيل ويودون التهامه . وسلطان دمشق في شك وقلق وقد بات لا يؤمن بصلاح الدين .

واوقدت الشيعة لهيب الفتنة تململا من اقامة الخطبة للخليفة العباسي الجاثم في بغداد، فقضى عليها صلاح الدين بان صلب النافخين في بوق الشغب والاقلاق . وشاء حظه ان يسعفه فمات سلطان دمشق نور الدين زنكي، وقد ابقى بعده غلاماً حديث العهد بالحياة، لا يكاد يجاوز عقدها الندي .

فلم يبق من سبيل الى كتمان ما تغلي به النفس . وجالت عينا صلاح الدين في المملكة اليتيمة فاذا المطامع تطوف حولها . صاحب حلب يبتغيها . وابن عم الملك الطفل سيف الدين، صاحب الموصل، يشتهي قضمها . فلماذا لا تحتمي بظل صلاح الدين ؟

ولكن أيغزو صلاح الدين ابن سيده ؟... وما هي حجته على الغزو لدى المسلمين ؟.. وخدمه زمانه فلقي هذه الحجة . صاحب حلب انتزع الملك الطفل من قلب دمشق واحتفظ به . فاهتز صلاح الدين في مجثمه ونهض لمقاتلة المغتصب . وايده في وثبته المستضيء بالله الخليفة العباسي، ساكن بغداد . وصفق له

— البقية في الصفحة ١٣ —

ثمالات

رفع الجباه في قلب الجزيرة

... بالخير يا عبد العزيز

... بالخير

ويقف ، ابن السَّليل والرياض ، امام عبد العزيز ، الملك وقفة السيف ، في شموخ النخيل والمآذن ، ويقرأ السلام ، من العين الى العين ،

من الجبين الى الجبين ،

من نفس أنُف على نفس اباء

من فوق الى فوق ..

لا تعفر ، ولا تذلل ، ولا تهيب ، ولا انحناء ،

ولكنها تحية كفء لكفء ، وسيد لسيد كبير .

عبد العزيز ، الملك ، في الجزيرة ، في الصحراء ، بشر كالبشر « من صلصال من حمإ مسنون » فهواذا تصافت عنده ، التحية كانت مع « بالخير » قبلة في الرأس على صدر الجبين ..

واذا عزت على الشكر ، كانت قبلة في الانف ، على مفرق الحاجبين ..

واذا تآخت بعد الشوق ، كانت على الوجنتين عطفاً وحنواً ، ووفاء ..

اما قبلة اليد ، والركبة ، بالتحدب ، والسجود ، فهي عند العربي كلثمة القدم عينها ، سواء بسواء .

لان لثم الانامل او الاخمصين ، شد الوثاق ، وضرب الرقاب

*

فالعربي ، يوم الطوفة نفسها ، لتجديد العهد بينه وبين ربه ، يطلق ، من البيت ، الى القبة .. اللهم . اللهم .. وكله الى اعلى ، كأنه شراع على سارية الشمس ، يشق الافق مع الريح والفجر الى الابعاد العالية ،

*

ان خفض الرأس في الجزيرة ذل يغض به الانسان وجهه حياء من قيده .. وعينه .. وربه ..

ومنذ البدء منذ سرت من هذه الارض نسمة الى الجوزاء ، كان هذا العربي ، خميرة النفوس يحمل ابنــاؤه الخلص ، الرسالة القدسية ، فيعلمون البشر بسخاء انهم آنية مقدسة ، تتحرك بالجمال ، والمعروف ، لا دمىً تحقق ، بالنفط والكبريت وتتكسر في الصدمة عند مواطيء الفولاذ والاصنام والاوثان ،

*

وكلما خرج البشر بالدم والجريمة ، كالغرابيب السود ، انزوى هذا العربي في قلب الجزيرة ، يضم اجنحته القوية البيضاء على الخميرة الطيبة السرمدية ، وينتظر هدوء الاعصار ليخرج في الغد بشعاله فيهدي المواكب الضالة في وعث الارض ،

ويحل اللغيزاء القديمة التي تساءل فيها المتسائلون عن سر هذه التربة العربية التي انبتت وحدها ، في البشر ، قدسيات مباركة ، حطمت اشباح اثينا ، وآلهتها ، وابراج رومة ، وخرافاتها ، ورفعت الجباه عن الحجر الصلد الى الله الاحد ،

ولم تلبس الوثن لباس الحي ، ولم تخلع على الحي الميت ، ربوبية لا تخطىء .

*

ايها الرواد

ايها التائهون ، في مسارب الطارق ، آمنوا بالعرب ، تؤمنوا بعظمة انفسكم ، وبعمق السماء ، فيقدس عندكم المعروف ، ويتأله الجمال ، وتسلم التحية ، وترتفع جباهكم ، عن صخرة العتبة ، وابواب الهياكل ، لتمسح مفارقها بلألاء الحق .

*

ايها الرفاق

ايها الذين يطوفون الارض يفتشون عن ماء سلسل ، يشربون ويسقون ،

ها هي بئر زمزم ، في قلب الرمال ، تشرب منها الملائكة ، ايها العطشى القوا دلاءكم حيث انتم ..

الباحث خليل زغريا

اللغـــــة والقوميـــة

بقلم الدكتور بشر فارس

يسعدني ويعلي من شاني ان احدثكم في بلد ثغره وسهله وجبله قد اخرجت في العصر الحديث جمهرة من العلماء الاعلام صرفوا هممهم الى لغتنا الشريفة ، فهذبوها واغنوها وقيدوهـا واعلوها ، وكان الزمن الجائر قد جرها الى الترهل والضآلة ، والى التفكك والحقارة بعد ماض زاهر ماجد .

فبفضل الشدياق والاحدب واليازجيين والبستانيين والاسير ثم الشرتوني وعبد الرحمن سلام واضرابها استطيع ان اتحدث اليكم بهـذه اللغة السليمة وتستطيعون انتم ان تصغوا وتلقطوا . هؤلاء الاعلام هيأوا لنا سبيل التفاهم وهيأوها لكم فيا بينكم على بساط مديـد متقن الصنعة . رحمهم الله رحمة واسعة ، فانهم من رواد القومية من حيث لا يشعرون وبناة التآلف على اس ثابت .

آتيكم اليوم وفي صدري اشياء من حال لبنـان الحاضر لا يستطيع العامل في ميدان الفكر ان يسهو عنها وان يضي ، وان كان دأبه العلم الصرف والادب المحض ولا تظنوا اني ابتغي توجيهكم ففي هذا دعوى ليست والله من شيمتي ، ولكن في نيتي ان اذاكركم في شأن شاغل لكم ولي ايضـاً الا وهو شأن القومية ورسوها وعلوها .

انما شرط القومية تلاؤم بين ابناء الامة وتساير من جهة المعنى ومن جهة الحس جميعاً . وقد استقام لعلماء الاجتماع لهذا العهد ان للقومية مقومات وقد اختلف العلماء في قيم هذه المقومات وذهبوا مذاهب في تغليب احداها على الاخرى . وكيفما كانت الحـال فلسنا هنا بسبيل البحث المجرد ولست بسائق لكم حديثاً في علم الاجتماع . وانما اريد ان اجري الكلام في جهة العمل من طريق وضعي لا شأن للتخيل فيه .

لنستعرض اذن المقومات التي انتهى اليها الباحثون ولنتصفحها على ضوء المجتمع اللبناني القائم اليوم قياماً حقاً مستقلاً بنفسه ، لعلنا ان نصيب ما قدر كل مقومة لديه وما مبلغ حظها من القوة والرسوخ صنف العلماء تلك المقومات فوجدوها هذه : الارض ، والدين والدم ، والماضي مع الرغبة في الاستمرار ، ومصلحة العموم ثم اللغة .

اما الارض . فما يورث الاسف ان لبنـان بقع بقع . وكل بقعة منطوية على نفسها ، لاهلهـا تملاتهم ونزعاتهم . فمن هذا ، ان لسكان جبل كسروان مثلاً نزعات لا تجدونها عند اهل البقاع . حتى المدينة ينقسم اهلها على اهواء ، ففي بيروت احياء ، وكل حي يرى على طريقته ويسعى ويؤمل . اضيفوا الى هذا ان بقعاً ادرجت في لبنان من عهد قصير فدخلته وما احسبها داخلته ، وذلك لسببين ، اما الاول فلقرب عهد الادراج ، واما الثاني فلدخولهـا في ارض توزعت جهاتها وتضاربت كورها . وخلاصة هذا ان الارض اللبنانية لا تستطيع ان تضم ابناءها فتركزهم في مستقر تتلاءم اطرافه .

هذا ويتفق للارض على وجه العموم الا تصلح لتكون مقومة من مقومات القومية ، فهذه بريطانيا العظمى — وقوميتهـا فوق الشبهة — مقسومة قسمين متنافرين : انكلترة وسكوتلندة . وقد لمس هذا منكم من قصد الى بريطانيـا فجلس الى ابن سكوتلندة وسمعه يقول : « لست بانكليزي » . غير اني لا ارباً بكم ان تذهبوا ابعد مما اذهب فيزعم زاعمكم ان اقسام ارض لبنان الى انفصام واقتطاع ما دامت على غير تواطوء وتقابل .

واما الدين فخير لي ولكم ان نمر به سرعاناً ، وليس ذلك من باب الخشية ، ولست ممن يخشى النظر في الامر الواهن وان وعر مسلكه . فقد آن للمفكر الحر المخلص ان يجبه كل مشكلة بما قد يكون مكروهاً — ولكن الاسراع ههنا شبيه ضجر في طياته ألم حزاز تغذوه دهشة ملحة هي الدهشة من قوم يضربون في ارض واحدة وبعضهم الى بعض ينظر نظرة المعتدي مرة والمستعدي اخرى . انمر سرعاناً فالهواء — والله اعلم — الى غير صلاح . ويجسبي ان الفظ كلمة واحدة هي كلمة الطائفية فاستخلص مما تثير حول حروفها المريضة ان الذين في لبنان هيهات ان يكون لهم معقل انضمام ومرجع وئام . وهنا كذلك لا تذهبوا الى ابعد ممـا اذهب اليه فيزعم زاعمكم ان الاديان اذا تباينت في بلد واحد مجلبة للانفصال فهذه المانية وهذه روسية كلتاهما تضم مذاهب شتى وليس شك انها على قومية فعالة .

واما الدم فلا اعني نقاوته وتحدره كذلك من عروق الجدود حتى عروق البنين . فـذلك وان تشبث به قوم وانهضوا عليه سياستهم وتدبيرهم – أدخل في باب الاسطورة منه في باب العلم ولا سيما في قطر توافدت عليه اجيـال من الناس فاتحين او فازعين . است تلك النقاوة اعني ولكني اريد امتزاج الدمـاء بين الفئات المختلفات التي بقيد الحياة .

ولا يخفى على احدكم ان حالكم على عكس ذلك لاسباب دفائن لم يحن بعد النظر فيها والحكم ذلك بان الامة لا تثب دفعة واحدة من انزواء اجزائهـا بعضها عن بعض الى التحامها جملة . التدرج هنا افضل واحكم ، وانما المعول على تخاص القلب وتفتح الروح : صدق وسمو . اذن ليس في وسع الدم ان يشارك في تلاؤم الافراد ولو بحظ يسير .

واما الماضي ومـا يحدثه من الرغبة في الاستمرار فاني اراكم تلتفتون الى عهود وامم ، فهذا يصعد حتى زمن متقادم دارج فتأخذه الفينيقية ، وذاك يتشبث بالعربية ، وثالث يخلطها بالاسلام عفواً . وعن هذه الاصول تنشق فروع .

فكيف توجهون المضي على سمت واحد وحاديكم غير واحد . انما الماضي ، كما يقول الفيلسوف برجسن ، نافذة منها يطل المطل على المستقبل . ونافذتكم على فتحات متباينات . فهذه ابصاركم زائغة ، يتخاطفها الشمال والجنوب ومطامحهـا مقسمة بين تشريق وتغريب . وانما غاية اضطراب العين حيرتهـا فعجزها . حمى الله أعينكم ! فالماضي كما ترون لا يعبد لكم طريق المستقبل الضمام لخطاكم بل هو يحرف بعضها عن بعض .

واما مصلحة العموم – وهي المقومة الاولى للقومية البريطانية مثلاً – فاراكم لم تستوضحوها بعد . ولا لوم عليكم فالعالم اليوم على تجاذب وتدافع . فانى لكم ان تتجهوا الوجهة الصالحة النافعة . الضباب حول الخلق كافة ، فلحاظهم على تفرق وتحير . ثم انكم لا تزالون في بدء تدبير شؤونكم ، فان جربتم هذا فلم تجربوا ذاك ، وان امتحنتكم السياسة من شق فلم تمتحنكم من شق آخر . فانتم لا تنفكون في تقري الباب الذي يولجكم الى النعيم وتحري الحاجب الذي لا يخفي سيفاً – فحكمكم في مصلحة عموم افراد الامة لا يزال صريع المنازعة والمجاذبة يلفه الغموض والفرض والحدث .

بقيت اللغة . فهل احدكم يشك انكم على لغة واحدة . اجل اخبرني صديق اثير ان نفراً يقولون بان للبنـان لغتين فهذا زعم لا ينهض له دليل . فلغتك انما هي التي تنطق بها سليقة اول ما تنطق ثم تأخذها سماعـاً واعتياداً لا تكلفاً واكتساباً وان بدا لنفر ان يحرفوا ألسنتهم عن اصولها فذلك شأنهم وحدهم .

ان لغتكم هي العربية رضيتم او كرهتم حسنت لديكم او ساءت . تلك حقيقة لا ترد وعلى صعيدهـا تلتقي خطاكم جميعاً . فان وهنت المقومات الاخرى او بطلت فان اللغة هي المقومة الحافلة الفريدة التي اتيحت لكم ولا تنفك بين ايديكم . هي ملككم جميعاً اشتركتم على اختلاف مذاهبكم ومناهلكم في تسويتها ورفعها . كلكم ابنها وراعيهـا ، ومن العسف ان يقول قائل « ابت العربية ان تتنصر » تلك قولة لفظ بها من لفظ من نحو مائة سنة وهو لاه ، وبعض اللهو اثم ، هي قولة فيهـا بهتان بل فيها عدوان ، ونحن اليوم الى الحق ننظر وبالوئام نستبشر .

هذا وليست اللغة بالمقومة التي يقل قدرهـا في امر القومية . فاذكروا ان دانتي الشاعر الايطـالي العظيم جمع كلمات المناطق الايطالية بفضل ملحمته الاضحوكة الالهية ثم ادركوا ان النهضة الفرنسية من قرون اعانت على توحيد المقاطعات من طريق التعبير المنسجم ومن قبل قربت لغة قريش الغالية ما بين القبائل المتنافرة بين ايديكم عدة تفاهم محكمة مكينة فعليكم اياها وبها . الزموها وتمسكوا بها وبالغوا في صونها وصقلهـا حتى لا تفلت من بين انامكم او تصدأ من طول الاهمـال فتقعدوا وقد غاب من تحت ارجلكم ذلك الصعيد الاوحد في حدود ارضكم . ومن وسائلكم في الصون ان تفرضوها في كل موضع فلا تقبلوا منهـا بديلاً . وان تخاطبتم وتراسلتم فبها اولاً وان حادثتم غير الناطق بها في بلدكم فبها ثم بلغته . واما المدارس فلا تأذنوا في ان تجري اللغة في فصولها مجرى هيناً وان تنتحي ناحية فتغلبها على امرها لغة اجنبية عن السنتكم . في ذلك استرخاء ووراءه ذل . ولتشتد مراقبتكم ولتنبسط على المناهـج والنماذج ، ولا بد ان تطلق على المدرسين انفسهم هل يحذقون هذه اللغة ؟ واعلى من هذا : هل يحبون هذه اللغة فيحببوهـا الى التلامذة ؟ ثم لتقرأ العلوم والاداب بهذه اللغة ايضاً حتى يتدرب اللسان ويذرب وحتى يشعر صاحبه انه يستطيع ان يضعه حيث يشاء ، فتجل اللغة في عينه فتظـل المقومة الشريفة الرفيعة . واما وسائل هذا الصقل فاجتهاد متواصل في تهذيب هذه اللغة واغنائها . وهذه حكومتكم مقبلة على انشاء مجمع علمي ستكون علوم اللغة من شواغله ، وفي المأمول ان ينشأ لوجه العلم وان يعمل فيه اصحاب الكفاية والدراية فلا يكون انشاؤه مظهراً من مظاهر الابهة والتهويل ، وان آفة شرقنا البهرج ، ثم لا يكون طوع

الطائفية تلك النكبة التي رمانا بها جهلة ومجرمون .

وليس معنى كل ذلك اني اتشيع للعربية واغض البصر عن سائر اللغات . فهذه حماقة . ولكني اسألكم ان تنزلوها المنزلة الاولى حتى تبقي على سلطانها بل تقضي فيه . ولكم بعد ذلك ان تقبلوا على اللغة التي تجذبكم . والخير عدم الايثار ، لان الايثار يورث الهوى ، وحليف الهوى التعصب ، فان تعصبتم للغة ما ، زحمت لغتكم والقلب لا يحمل اثنين ثم ان الاقبـال على لغات متعددة يشق لكم الافق فيفسح للفهم ويوسع للادراك . فلكل لغة اسرار وخصائص من جهة القواعد ومن جهة الاداب ، وبنا حاجة الى كل ما يفتح ويصعد حتى نشد من تلك المقومات الواهنة ونعالج تلك المقومات المعدومة .

وبعيد عن ذهني ان انصح لكم الاستمساك باللغة لتتخذوها غاية فتصرفوا اليها نشاطكم صرفاً وتجاوها المقصد الاسمى ، كلا ! انا ادعوكم الى الاستمساك بها على انها وسيلة فعالة . وأملي كبير في ان تعينكم اللغة على مراجعة المقومات الاخرى ودعوني هنا الوح وامثل . اما الارض فمن طريق التواطؤ على القراءة الواحدة والفهم الواحد تتساير الذهنيات الى انحاء متقاربة ثم مع الزمن الى انحاء متماثلة .

واما الدين فبالاطلاع على الآثار يعلم الجاهل ان الهوة بين هذه الفئة وتلك لم تكن على السحق الذي نعانيه فالنصراني مثلا اعان المسلم في بعض فتوحاته وكراته بفضل القربى والاخوة . والمسلم مثلا كثيراً ما فطن الى ان دينه الى السماحـة . فهذا اللون من الحوادث يجب ان يقرأ في الاصول ذاتهـا ويجب ان يبرز ابرازاً ويجب ان يحتذى .

واما الماضي ومـا يحدثه من الرغبة في الاستمرار فان عرضتم الطاف الحضارة التي ورثتم لفتهاعلمتم انها في الاوج من بعض النواحي وفي بعض العهود ، وانهـا امدت الحضارة الاوربية الحديثة فهي خليقة بان تكون منهلا صافياً ولكم ان تختاروا وان تنبذوا ، وان تستلهموا وان تستعيضوا ، وطلبتكم التقدم والوثبـان . ولكن لا بد لكم من ان تجمعوا الاكف لتلقطوا الماء من نبع واحد . وانما اللغة التي نشأتم عليها هي الدرب المؤدية الى النبع هل لدى احدكم درب حية اخرى ؟ فان وجود النبع لا يكفي .

تلك خواطر خطرت لي وانا اضرب في سهول شتوره . واني لأعلم انها موضع مراجعة وتحقيق ، ولا يخفى علي انها مثار نقاش ، ولكني اردت ان ابثكم اياهـا قبل ان اغادركم لعلي ان افيد ، وان لم افد فصدري يملأه الود ، على كل حال ، والاخلاص .

شتوره

بشر فارس

تتمة (رجل غير وجه التاريخ !)

الاسلام . فمشى من فتح الى فتح والفوز حليفه ، واحتـل دمشق وحلب وسواهمـا من مدن الشمال . ووضع نصب عينيه وحدة البلاد الناطقة بلغة الكتاب . وهذه الوحدة لا تقوم لها قائمة بسوى احتلال القدس وانتزاعها من الصليبيين .

اذاً يجب الاستيلاء على القدس . ومشت قوات صلاح الدين الى فلسطين تنازل الجيوش الصليبية . واعانهـا عليهم التخاذل المستحكم منهم . بعضهم يبغي القتال وبعضهم لا يبتغيه . على انهم تصلبوا حيال الشدة ، وصمموا على مقاتلة السلطـان الايوبي ، وخاضوا ميدان الوغى . واذا المياه تعوزهم ، فنهكهم العطش والتووا الى تلال حطين . وفي تلال حطين ضيق عليهم صلاح الدين النطاق ، فاستبسلوا في الدفاع عن مليكهم وتساقطوا حول خيمته بالمئات والالوف ، وابعدوا المسلمين عنها على دفعتين ، الا ان العجز هد حيلهم فعصف بهم الخوف وتبدد شملهم ، وفي اوائل تموز ١١٨٧ وقع ملكهم في قبضة صلاح الدين .

فالطعنة كانت موجعة وقد انتقلت بها القدس الى صلاح الدين وما استطاع الصليبيون ان يستعيدوها . فناءوا عنها على مضض . ولقي الاسلام في السلطان الايوبي انشودته الضائعة ومجده الموؤد . واعجب به الصليبيون انفسهم فهابوه واجلوه وهو السامي العطف الوازن الحلم ، المتناهي الجود .

وفي منتصف شباط من سنة ١١٩٣ شاء السلطان لقاء موكب الحجاج المقبل من مكة . وما وقعت عينه على القافلة حتى بكى وقد ابت عليه ايامه القيام بواجب الحج . وبعد اسبوعين قضى نحبه وهو في السابعة والخمسين . فبكى فيه الاسلام قائداً بطـلا ، وزعيماً جامعاً للشمل . وبكت فيه الانسانية قلباً شفيقاً ، وسيداً هماماً ، لا يلين في حق ، ولا يشمخ على ضعيف . ومما لا سبيل الى الجدل فيه ان صلاح الدين باستيلائه على القدس غـير وجه التاريخ ، شأن محمد الفاتح في غزو القسطنطينية ، ومصطفى كمال في انقاذ تركيا من مخالب الاجانب ، ولا سيما الاغريق !

كرم ملحم كرم

نحو انسان جديد

تلخيص عبد اللطيف شرارة

عن كتاب للكاتب الانكليزي الشهير هـ . ج . ولز تحدث فيه عن مثله الاعلى لحياة الفرد

تأمل الناس ! . . تأمل السواد من الناس ! ماذا ترى ؟ — انك اذا امعنت النظر تجد القسم الاكبر منهم ، او كلهم « متزنين » بمعنى انهم ارتضوا الحياة التي يحيونها،ووازنوا بين امكانياتهم وامكانياتها ومشوا بها ومشت بهم في سكينة واطمئنان على الرغم من التمنيات التي يستغرقون فيها احياناً . والاحلام التي يتعللون بهـا . تأملهم . . تجدهم يهنئون انفسهم حين يسلم واحـدهم من الادعـاء والغرور او يخلص من السخف والغباوة ويقف عند هذا الحد الضئيل من الفهم والعمل . .

عرج الآن على الوان حياتهم ، تجدها متماثلة متشابهة في خطوطها الكبرى : يبدأ احدهم ، اول ما يبدأ بمحاكاة غيره ممن يحيط به ناهجاً نهج البيئة التي نشأ فيهـا ، مترسماً خطاها ترسماً اعمى دونما بحث او تفكير .

ونحن اذا درسنا هذه الحياة التي يستوي فيها البشر قاطبة ، واعملنا الفكر في تحليلها نجد انها لا تستحق ان نحياها ، ولا هي في ميزان العقل ذات قيمة البتة .

اذن ، لا بد وان يكون هناك نوع آخر من الحيـاة ، يفوق النوع الذي نعهده ويستعلي عليه وزناً وغاية . هناك نوع من حياة خيرة جميلة غنية غير هذه الاوحال الموبوءة التي نسميها حياة . . . هناك لون من العيش ابدع واسمى من هذه الالوان القاتمة الغبراء التي تحتجب بها معالم النور ، وتأسى من ضيقها النفس ، ويند عن صورتها القلب . فما هي تلك الحياة ؟ وكيف تتحقق ؟

١

. . تلك حياة انقلبت فيها الاوضاع المعتادة للنفس رأساً على عقب ، وانعتق بها العقل انعتاقاً تاماً من قيوده ، وتمثل بها الوجود على صعيد غير الصعيد الذي نعرفه ، فليس فيهـا حب ولا بغض ، ولا اخفاق ولا نجاح ، ولا كآبة ولا ابتهاج . . ولا هي مترجرجة بين ما تقدر عليه وما تتمناه ، ولا حائرة بين الكفر والعاطفة . . والشيء الاصيل فيها هو الكبرياء . الكبرياء اساسها وقمتهـا . فقد ملئت بالكبرياء ، وارتكزت على الكبرياء ، حتى اذا تداعت تداعت في جو من الكبرياء . . . ولذا تأخذ اسم : « الحيـاة الاريستقراطية » ، فهو اقرب ما يكون لمسماها . .

ولكن الاريستقراطية في هذا المقـام ، لا تمت الى اريستقراطية اللوردات والنبلاء ومـا نسميهم « ذوات » في بلادنا ، بادنى صلة ، ولا هي منهم ، ولا هم منها في شيء ابداً . . . وانما هي جوهر دائب التوهج لا يثنيه عائق عن بلوغ اسمى الاهداف الانسانية ، في نفس الوقت الذي يرتفع بصاحبه الى اعلى قمم الروحانية ويظل صاحبه مجداً عاملاً ابياً وُضع ام رفع ، جـاع ام شبع ، نُبذ أم قدّر ، فالعلم طريقتها حين تفكر ، والفن مظهرها حين تحلم ، وسعادة النوع البشري غايتهـا حين تريد وتعمل . . . فهي ليست شيئـاً عادياً مبتذلا ، ولكنها ليست ايضاً مستحيلة ، بل انها في متناول الطبيعة البشرية . ليست مبتذلة كفأر ، ولا هي اقل طبعية من اسد .

واذا كنا نجد من الطبيعي ان يكون في الناس من يغرس البطاطا ويتعهدها بالري والعزق ، فاننا نجد ، ولكن على وجه ابلغ وارق ، من الطبيعي ايضاً ، ان يكون فيهم من يرتاد المجاهل ، ويخوض المهالك . والاريستقراطية التي ينبغي لنا ان نحياها ، لا حباً بالحياة ، بل ترفعاً عن الحياة وخدمة للمثل العليـا ، لا تقل في كونها طبيعية عن حياة غارس البطاطا او رائد القطب . وعلى هذا الاساس نستطيع ان ننعتها بكلمة « روحية » .

غير ان تلك الاريستقراطية لا تؤتي اكلها الا بعد ان تتحقق في النفس وتصبح جزءاً منها ، او تتمثل فيها تمثلاً واضحاً تاماً . فكيف يتأتى لها ذلك ؟

٢

الاريستقراطي لا يخاف !

. . . والخوف اول ما ينبغي على المرء ان يحاربه في نفسه ، لان الخوف قيد ثقيل يشل النشاط ، ويحد من حماسة الايمـان ، ويخضع الكبرياء . واذا القينا نظرة واسعة على العالم الحديث ، نجده يحسب الراحة والامن غاية الغايات ، ولذا استحوذ عليه الخوف استحواذاً تامـاً شاملاً ، وخالط منه السمع والبصر والاعصاب ، فتراه يتقي الموت والعذاب ، ويتحاماهما ويحاذر مآزقهما ، وهو لم يعرفهما الا كما يعرفها الاطفال ، اي في اساطير الجن ، وحكايات

العجائز، وتصاوير الاحلام، حتى خيل اليه ان اكتشاف المخدرات والملهيات اعظم فتح يتوج الحضارة الراهنة، واعتقد ان الرفاهية والعبث اللاغي وما اليهما مما تتطلع اليـه النساء، مثل الانسانية الاعلى.. وليست هذه الافكار، وكل ما نشأ عنها من مخترعات مرفهة، وآداب وفنون مائعة الا نتيجة الخوف الذي يسيطر على روح الرجل العصري.

ولكي نتغلب على هذا الخوف الماحق يجب ان ندرسه وان نفهمه... واول ما نلمسه فيه هذه الظاهرة وهي: ان نباح الخطر افظع من عضه، فقد يكون داخل الباب كثير من النكبات والحوادث، بل قد يكون الموت ذاته ينتظرنا، ولكن الخوف يطير كأن لم يكن حين نلج الخطر ونقتحمه في عقر داره! والظاهرة الثانية التي تطالعنا بها التجارب، هي ان الخوف لا يتمثل على عنفه، ولا يظهر شديد المراس الا في حـالة الانعزال اي حين يكون الانسان منفرداً، او ذا شعور عميق بالغربة. اما الجماعة، فيعتريها الذعر المثير، ولكنها لا تشعر بالخوف الحقيقي...

ولما كان الامر كذلك، اصبح من السهل علينـا مواجهة الخوف وكسر شوكته، فأنت تستطيع ان تتخلص من الموت او العذاب حين تفكر تفكيراً واعياً عميقاً ان ليس الموت او العذاب ان يطالاك، وفي استطاعتك ايضاً ان لا تعبأ بالتعب والشقاء حين تجعل حياتك جزءاً من وحدة الشرف الانساني، وتمزجها مزجاً تاماً في خيال الانسانية الطامي. ابداً الى الحوادث والمغامرات. بذلك تصبح امكانية الموت ضئيلة واهية في جانب تحقيق العمل الذي تريده حتى ليفوق هذا تلك ويتغلب عليها.

واذا كان اليأس يقتل الخوف بمعنى انـه يبعث على البسالة ويزج النفس في المهالك، فليس من الممكن ان يمتد اليأس الى جميع الحالات النفسية، ويلابس كل ظروفها، ليسعف الخائف او الجبان ويمده دائماً بالقوة والاقدام لانه كالخوف نفسه: حالة عاطفية تمر بها النفس عند الصدمة، وتفرغ منها بعد زوالها. ولذلك، ينبغي لك ان تفكر عندما تكون منعزلا وحيداً، انك لست وحيداً، ومتى ادركت واقتنعت ان غيرك يشاركك في ألمك، او انه يشاطرك تعبك ارتفع الخوف وعادت الى روعك الطمأنينة، والى نفسك الاشراق...

ولكن شبح الخوف لا ينصاع عنك انصياعاً تاماً الا حين تجعل حياتك جزءاً من وحدة الشرف الانساني وتناضله من قمة الاخلاص والتفاني والتضحية...

٣

والارستقراطي لا يتسامح ابداً مع نفسه!

... ويكون التسامح مع النفس في تبرير ما تشعره بها من نقائص وعيوب على صعيد فلسفي، فاذا كنت مهملًا لباسك، ولا تحفل بقواعد النظافة، ولا تأبه لقوانين التهذيب العـام، وتترك مظهرك على سجيته في النوادي والمحافـل، وتلقي الكلام على عواهنه بين الناس فتلك من علامات الضعف الذي لا عذر فيه سوى انه ضعف مهما حاولت ان تنقص من شأنه او ترده الى اصوله.

ويبلغ هذا التسامح ذروته حين تولي النـاس وجهاً عبوساً وغطرسة جامحة يجفل منها القلب، ويذوب فيها اللطف، فان من ألزم الامور للارستقراطي الصحيح ان يكبت خوالجه، ويسحق احاسيسه حين ينتابه الضجر، او يثقل عليه منظر بؤس او حالة مملة. والشهوة الجنسية هي المحك الدقيق المرهف للتسامح مع النفس، فانها، وهي الصادرة عن غريزة عمياء يستوي فيها البشر جميعاً من اعظم ملك الى احقر خادم، تجعل هذا التسامح شيئاً طبيعياً، لا يثير فينا الاستهجان، ولا يحضنا على التفكير حتى اننـا لنبرر جرائمنا احياناً بالحب، ونحسب الحب وحده كافياً لمحو تلك الجرائم او التخفيف من حدتها، مع ان الحقيقة البسيطة، ترينا بجلاء تام ان الحب حين لا يكون «معقولا» – على لغة افلاطون – ليس الا تسامحاً مع الشهوة، واسترسالا آلياً مع النزوات المنحطة الدنيئة اما دواء التسامح مع النفس فانه قائم في شيئين اولهما الوضوح في التفكير اذ يصبح المرء واعيـاً من نفسه واتجاهاتها في الحياة، وبالتالي مسؤولا امـام عقله عن اعماله، وثانيهما قوة الارادة التي تنتصر على كل اغراء، وتذهب بكل كسل وتنفذ كل منطق صحيح...

٤

والارستقراطي لا يغار!

... والغيرة وما يواكبها من هنات ونقائص كالطمع والحرص والحسد والاثرة والتبذل، ليست، عند آخر تحليل، الا انبعاث المرء على اشتهاء ما ليس له... وهي لا تختلف عن التسامح مع النفس الا في شيء واحد، وهو انها تحمل في تضاعيفها لوناً بهيجاً من الكبرياء، وتدغدغ حاسة التفوق عند الطامحين الذين يتعدون حدود الكرامة الانسانية في نفس الوقت الذي يعتقدون به انهم يطمحون الى معان وقيم لا يفهمها الغير، مع ان سلوكهم لا يفسر الا بالغيرة، واعمالهم لا تنبثق الا عن غيرة شرهة جامحة...

ولذا كانت الغيرة اشد خطورة من الخوف وابعد اثراً من التسامح الذاتي ، لانها اذ تنفث سمها في الحياة الاجتماعية ، مطلية بانواع من الطلاء الزائف كالمجد والنجاح والشهرة — تضيق على العقل آفاق التفكير ، وتمسخ بزخارفها حقيقة موقف صاحبها في الوجود ، وتشوه امامه صورة العالم .

ونحن نطالع هذه الغيرة باجلى مظاهرها عند المرأة ، وذلك لان المرأة ، على وجه الاجمال ، تدور دائرة حياتها حول مركز واحد هو نفسها . فليس لها من رسالة تؤديها في هذه الدنيا غير جمالها الخاص ، واغراضها الخاص ، ومنزلها الخاص . فالزمان عندها هو صباها ، والفضاء بيتها ، وهي دوماً تتطلب رجلاً يعطف عليها ويتخذ منها قبلة وجوده ، اي انها في قرارة نفسها تنشد ما ليس لها . والاخفاق في نظرها ، ان لا تتمكن من فرض سلطانها ، والبخل عليها اذلال لها واهانة . . . وكفاح الغيرة لا يتطلب درساً عميقاً كالخوف ، لان الغيرة شعور بدائي سخيف وان تمثل عنيفاً قوياً كلما تمثل . وما علينا الا ان نفرق تفرقة واضحة بين ما لنا وما ليس لنا ، ثم نحتفظ بالاول ، ولا نأبه للثاني اذا فقد او لم نحصل عليه .

فاذا جفاك صديقك ، وتعلق بغيرك ، او خانك زوجك ، فليس من الكبرياء ولا من الكرامة الانسانية في شيء ان تحاربها او ان تحقد عليها ، لانك — وهذه هي الحقيقة ! — لا تستطيع ان تفرض عليها حبك ، ولا انت ذلك الرفيع حين تحاول ان تملكها امتلاكاً مادياً صرفاً . واذا كنت تتصور انك تملكها بمعنى انها لك ، لا لغيرك ، فانت المخطىء ، وتصوراتك هي الغيرة بعينها .

٥

والارستقراطي لا يتعصب .

وهنا ، لا ندحة عن تعريف « العصبية » في اي صبغة اصطبغت او اي مظهر ظهرت به ، ليتضح مفهومها في الذهن ، وتصبح مادة ملموسة يمكن العمل على اقتلاعها .

والعصبية هي ذات القصور الفكري الذي يمنع المرء من ان يفهم ان الفرق بين رأي وآخر في وجه ما ، لا يكون فرقاً في كل الوجوه . ثم يتقوى ذلك القصور ، متمركزاً حول الفرق في الرأي ، اذ يتخذ صبغة عدائية ، تحت تأثير البغض الغريزي الذي نضمره لكل ما لا يشبهنا . ونوغل بعد ذلك مبالغين في ترتيب الطوائف وتقسيمها ، نلصق الشر بالطائفة التي تخالفنا ، ونحتكر نسبة الخير الى طائفتنا .

على هذا الاساس ، الذي نستله من الواقع البسيط ، نستطيع ان نجزم بان كل عصبية يشعر بها المرء في اعماقه ، دينية كانت ام مذهبية ، عائلية ام حزبية ، لا مسوغ لها في دنيا الحقائق ، بل ما هي الا نتيجة تفسخ في الشخصية ، وعجز عن الاضطلاع باعباء الحياة ، وخور عن مقاومة صروفها واحداثها مقاومة صحيحة متكافئة .

واذا كان نضال الخوف والتسامح الذاتي والغيرة ، واجباً شخصياً تفرضه الاخلاق ، ويعود بنتائجه على المناضل نفسه ، فان محاربة التعصب واجب اجتماعي ينبغي لنا ان نعبىء كل قوانا الروحية والمادية للقيام به . ولا حاجة الى القول : ان واجبنا يفرض ان نبدأ بمحاربة التعصب في انفسنا .

وقوام الارستقراطية الروحية الاصيل ، هو هذا النأي عن التعصب ، والتعمق في فهم وجهات النظر عند الغير ، ورحابة الصدر التي تحملنا على اعذار القاصرين من الناس ، واخذهم باللين والاناة ، لا الحيلة والمراوغة ! حين نصطدم بهم في مآزق الحقائق الكبرى .

وكفاح العصبيات العائلية والحزبية والطائفية والدينية وغيرها يستلزم تعاوناً وثيقاً بين الارستقراطيين انفسهم . ويحتاج اكثر ما يحتاج الى طريقة واضحة منظمة ، ووسائل مرنة لا تتخطى حرم الشرف ، ولا تستنزل النفوس الى التعصب ذاته ، فتقع في الاشراك التي تريد لها .

٦

فاذا تحققت هذه الارستقراطية ، وخلصت النفس من القيود الاربعة ، وهي الخوف ، والتسامح مع النفس ، والغيرة ، والتعصب ، واصبحت حرة طليقة ، يبدأ عملها الاكبر ، وهو ان تملك العالم وتحكمه حكماً يراد منه توجيهه نحو العلم والفن والفلسفة ، لاقرار الحق وبناء الجمال ونشر الخير .

. . . والملك الحقيقي او الحاكم الحقيقي هو كل رجل يطرح جانباً اهواءه بدائيته الساذجة ، ومنافعه الشخصية المبتذلة ، ويكرس حياته لخدمة العالم والسهر على شؤونه .

بذلك كله ، يكون الارستقراطي ، فيلسوفاً وملكاً في آن واحد ، يجمع الى حكمة الاول في التفكير ، عبقرية الثاني في العمل ، وتكون الارستقراطية الروحية مزيجاً من الفلسفة والملكية الصحيحة . وليست هي — بعد كل حساب — احدى المستحيلات في الوجود !

بنت جبيل　　　　عبد اللطيف شراره

الذكريات

★

(١)

بقلبي قد اطلت ذكريات — تفتش فيه عن ماضي شبابي
بقايا من حبيب او محب — واشباحٌ لايام التصابي
وطيفُ تواصلٍ وخيالُ هجرٍ — ورسمُ تدللٍ ورؤى عتاب
كشمس قد توارت في مغيب — وبرقٍ قد تلاشى في ضباب
وخيطٍ من بقايا الركب يبدو — ويخفى بين منعطف الشعاب
وآخر سكرة وختام حلم — ونجمٍ آفل ومنى كذاب

(٢)

لعمركَ ما الشباب سوى شراب — وليس الذكريات سوى خوابي
تعتقه فنسكر من شذاه — ونبلغ منه عربدة التصابي
لجرعة ذكريات من شبابي — تساوي الف دنّ من شراب
يميناً لو بلغت الحان يوماً — اطلت الكرع من دنّ الشباب

دمشق — احمد الصافي

آراء حرة في التربية والتعليم

بقلم صلاح الدين البيطار

شؤون التربية والتعليم في سورية من المشاكل الجدية التي شغلت افكار السوريين في جميع طبقاتهم ، واثارت اهتمامهم في مختلف نزعاتهم . فجميع الناس يهتمون بالتربية والتعليم اهتماماً جدياً لانهم في الواقع يهتمون بتربية وتعليم اولادهم، كما يهتمون بامر معاش عائلتهم بعد ان اصبح العلم اليوم من ضرورات الحياة .

ولكن هذا الاهتمام من الناس عامة لا يعدو دائرة ضيقة ، دائرة العائلة وحرص الابوين على تهيئة مستقبل اولادهما وسعادتهم، في حين ان شؤون التربية والتعليم لترتفع درجة خطورتها الى اعلى الدرجات عند فئة قليلة ، فئة المربين ، الذين لا يرون في الافراد اولاداً في الاسرة فحسب ، بل يرون فيهم اكثر من ذلك : خلايا جسم وابناء عشيرة ، وافراد امة ، واخواناً في ارض وفي خدمة وطن ، يتعاونون في السراء والضراء . اي ان القضية تستمد خطورتها عند هذه الفئة من كونها قضية قومية لهـا اتصال وثيق بجوهر كيان الامة ، لان الاهتمام بتربية النشء ، مادة المستقبل في الامة ، انما يستهدف في الحقيقة مستقبل هذه الامة . والتربية اليوم هي الاداة القاطعة التي تشق الطريق وتدفع بالامة في احدى الوجهات وتقرر الى حد بعيد مصيرها . والمدرسة – كما ينبغي لها ان تكون – هي الملاذ الحصين الذي تأوي اليه الناشئة ليقيها امراض المجتمع ومفاسده ، ويضع بين يديها ما يخلقها خلقاً جديداً .

*

من الافكار التي اجتاحت افق تفكيرنا مسألة المنهاج اللاتيني . فمنذ اكثر من اربع سنوات ، وفي احدى المناسبات ، اذيع ان افلاس نظام التعليم القائم في بلادنا ناجم عن كون وزارة المعارف تتبع في التعليم اصول المنهاج اللاتيني . ومذ اميط اللثام عن هذا السر ، ارتاحت النفوس بعد قلقها ، ووجدت العقول في هـذه الكلمة السحرية ضالتها ، وتحركت الالسن بعد انعقادها ، ترددد بمناسبة وفي غير مناسبة ، عن جهل او قليل معرفة ، ان هذا المنهاج اللاتيني هو اصل الداء وسبب البلاء . فهل من صحيح ذلك ، ثم هل من صحيح اننا نطبق في التعليم المنهاج اللاتيني ؟

وقبل كل شيء لا بد لنا من ذكر الملاحظة العامة الآتية : عندما يلقي الناس ، ورجال التعليم بصورة خاصة ، تبعة تأخر التعليم في بلادنا على عاتق المنهاج اللاتيني ، فانهم يرقبون حل المشكلة عن طريق استبدال منهاج آخر به يختلف عنه ، المنهاج الانكلوساكسوني مثلاً . ولكن فات هؤلاء الناس ان ما نأخذه على المنهاج اللاتيني في الدرجة الاولى هو ما سنأخذه على المنهاج الاخر : كونه اجنبياً عنا ، غريباً عن عبقرية امتنا وتاريخها ، لا يلتئم مع روحها وتقاليدها ولا يلبي حاجاتها . فالذين يتصورون ان مجرد استبدال منهاج بمنهاج كاف لانتشالنا من الظلام والضلال اللذين نتخبط فيهما الى عالم العلم والنور ، انما يتصورون مستحيلاً ويستسهلون صعباً ويتوهمون حل هذه المشكلة العويصة عن طريق تبسيطها كما تحل مسألة رياضية عن طريق المعادلات الجبرية . وهذا التبسيط للمشكلة وفهمها على هذا الشكل، ان دل على شيء فانما يدل على بساطة كبيرة وفهم قليل .

*

عندما نذكر المنهاج اللاتيني ، نقصد من ذلك نظـام التعليم المطبق في البلاد الافرنسية . وهو منهاج شامل ، منبثق من صميم الامة الافرنسية ، متصل بروحها ، نشأ من حاجاتها ، وساير اوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتطور معهـا ، حتى اصبح قطعة عضوية منها ومن تقاليدها . فهو بالنسبة للافرنسيين منهاج طبيعي حي ، افرنسي ، يغذيهم ويهديهم ، ويعلي شأنهم ، ويحمل اليهم ، في سلسلة متصلة ، من الاجداد الى الاحفاد ، كلمة السر التي تطبع الفرد بالطابع الافرنسي .

ولكن صلاح هذا المنهاج للافرنسيين هو الذي يجعله غير صالح لنا . ففي كل نظام وفي كل منهاج عنصران : العنصر العام المشترك بين الاقوام الخارج عن البيئة ، والعنصر الخاص المتميز الذي يتعلق بروح امة ومشاعرها وطرائق تفكيرها ، والافاق التي تتطلع اليها عن وعي وعن غير وعي . وهذا ما يجعل هذا المنهـاج نافعاً لهذا القوم الذي يعيش في هذه البيئة وضاراً بالقوم الآخر .

وفي كل خطة نضعها لمعالجة الشؤون المتعلقة بنهضتنا يجب ان لا يغيب عن بالنا الفارق الزمني والتاريخي القائم بيننـا وبين الامم الاخرى ، فنحن وان كنا نعيش والغربيين اليوم في قرن واحد ، في القرن العشرين ، لا نستطيع ان نقول اننا نعيش واياهم في دور حضاري واحد : هم يعيشون في القرن الخامس من النهضة الاوربية،

ونحن نعيش في القرن الاول من نهضتنا ، هم في ضحى نهضة ونحن في فجر نهضة ، هم في طور الكهولة ونحن في طور الطفولة ، ومن الطبيعي ان يكون غذاء الكهل مختلفاً عن غذاء الطفل او مضراً به . ومن الطبيعي ان اي منهاج تربيوي نستورده لا يحدث الانقلاب المرتقب في نفوسنا وافهامنا ويعجل بالتالي في نهضتنا ما لم نستطع تمثيله واساغته . وهذا لا يكون الا بعد تعريبه ، اي فك عناصره بعضها عن بعض ، واخذ العناصر العامة وادخالها لعنصر يلتئم التئاماً عضوياً مع العنصر الخاص بنا وبالطور الذي نعيش فيه .

فحاجتنا ، التي لا ينكرها انسان عاقل ، الى الاستعانة بمناهج التربية والتعليم القائمة في بلاد الغرب لا تعني مطلقاً اخذ احد هذه المناهج . اذن لهان الامر ، ولكان بالامكان اخذ ارقى منهاج في ارقى بلد ، وتمثيله بالسهولة التي نبلع فيها حبة الدواء . انما هذه الاستعانة تعني النفوذ بالعقل والبصيرة الى داخل الآلة التي يتركب منها هذا المنهاج وذاك ، والوقوف على سر تركيبها ودقة حركتها وجدوى منتوجها ، والكشف عن الفكرة الواحدة الموحدة لاجزاء هذه الآلة التي تضمن تعاون هذه الاجزاء وسيرها للغاية التي ركبت من اجلها . وبكلمة واحدة علينا استيحاء هذه المناهج لا تقليدها حتى نرجع الى نفوسنا ونكون الصيغة العربية في منهاجنا التربيوي ، المركزة كل التركيز ، التي تأتلف فيها العناصر المختلفة في وحدة وانسجام ويشع من كل ناحية من نواحيها نور الثقافة الصحيحة .

وهذا يصل بنا الى الملاحظة الآتية : هو ان البلاد التي يجب ان تتطلع الى نهضتها في التربية والتعليم ، ليست البلاد الغربية العريقة في حضارتها فحسب ، بل وعلى الاخص البلاد الحديثة الناشئة التي خطت مؤخراً في طريق النهضة خطوات ثابتة ، كتركية وايران وبعض بلاد البلقان ، ثم مصر التي تقوم اليوم في التربية والتعليم بتجارب جديدة بكل اهتمام والتفات وتتبع من ناحيتنا ، لان هذه الدول قد سبقتنا في قيامها بعملية الفك والحل والتركيب والدمج ، واخرجت منهاجها القومي في التربية والتعليم .

لذلك كانت مهمة اصلاح التربية والتعليم مهمة خطيرة جداً ، تتطلب رجالا لهم خطورتهم ، رجالا لا نغالي اذا قلنا اننا لا نملك منهم عدداً قريباً من عدد اصابع اليد الواحدة ، رجالا لهم نزعتهم العربية ، وتفكيرهم العلمي البعيد عن الهوى والتعنت ، وثقافتهم الواسعة الشاملة الرفيعة ، واختصاصهم العميق في شؤون التربية والتعليم ، ثم اطلاعهم وخبرتهم ودرايتهم .

المنهاج اللاتيني والمناهج الاخرى : الشائع في وسطنا التعليمي ان خطأ المنهاج اللاتيني هو في كونه نظرياً غير عملي . وهذا الرأي تعميم خاطىء لما يشاهد في مدارسنا الثانوية من تدريس للعلوم التجريبية تدريساً نظرياً استظهارياً ، دون ان يقام فيها وزن كبير او صغير للمختبرات وفائدة التجارب . غير انه من الظلم ان نعزو الى المنهاج اللاتيني ما جنته ايدينا في مدارسنا من نقص وافساد . فمن البديهي ان العلوم التجريبية تستوفي في المدارس الافرنسية حقها الكامل من التجارب على ايدي الطلاب انفسهم وفي المختبرات المجهزة اكمل تجهيز . فما هو اذن المنهاج اللاتيني وما يؤخذ عليه ؟

المنهاج اللاتيني هو وليد النظرة الافرنسية للتربية بانها تستهدف المعرفة البحتة والثقافة العقلية . فمهمة التربية في عرف رجال التربية الافرنسيين تثقيف العقل بشتى الاداب والعلوم العقلية منها والتجريبية وتطبيقاتها . وهي نظرة ضيقة في نظر رجال التربية الآخرين الذين يرون في التربية متسعاً لاكثر من هذا المعنى ، بل يرون انها تعني شيئين اساسيين : التربية الفكرية التي تقتصر على تثقيف العقل ، والتربية الخلقية التي تتناول جميع نواحي الشخص وطوايا النفس .

وهنا يظهر الفرق بين المنهاج اللاتيني ، والمنهاج الانكلوساكسوني الذي يعير هذه الناحية الخلقية من التربية اوفر قسط ويصرف اهتمام المربين الى تكوين الشخصية الفردية المتوازنة في الناشىء ، وتنميتها وتأسيسها ، وخلق روح المسؤولية وقوة الارادة فيها ، واعدادها لوظيفتها الاجتماعية التي هي التعاون الحر مع الشخصيات الفردية الاخرى في المجتمع ، في ظل النظام ، وبكل حرية وانسجام .

وهذا الفارق بين هذين النوعين من التربية يرجع الى رأيين يستقيان عصارتهما من اصول الفلسفة والتربية : احدهما هو ان الثقافة غاية في ذاتها وان المعرفة رأس الفضائل ، والثاني ان الثقافة لا تبتغى لذاتها ، انما غايتها الحياة والحياة الفعالة الخلاقة التي تتطلب معاً الفكر النير السليم والخلق القويم والارادة الصلبة الصادقة والجسم الصحيح . فالمدرسة التي يرى فيها المؤدبون الافرنسيون داراً للعلم ولتنشئة المتعلمين يرى فيها رجال التربية الانكليز والاميركيون داراً للتربية الفكرية والخلقية والجسدية ، ولتنشئة رجال ذوي عقول سليمة وشخصيات قوية وارادات صلبة ، تدخل معترك الحياة لتجاهد وتكافح ويكتب لها النصر . والمدرسة في رأي هؤلاء يجب ان تكون صورة مصغرة للمجتمع تضم الى جانب الصفوف والدروس ، شتى انواع النشاط الثقافي والخلقي والجسدي

فيها المكتبة والمدرج والنادي ، الى جانب المختبر والمعمل ، الى جانب الملعب والمسبح والمسرح وقاعة الموسيقى والسينما ، وفيها الجمعيات الثقافية والتعاونية والرياضية والفنية .

مما تقدم نصل الى النتيجة الآتية : وهي ان المنهاج اللاتيني ضيق وناقص . ولكن هذا لا يعني مطلقاً انه على ضلال . فمستوى الثقافة الافرنسية راق جداً لا يقل ابداً عنه في البلاد الاخرى . وهذا المنهاج التعليمي يؤهل الفرد لان يكون فرداً افرنسياً ذا ثقافة عقلية انسانية رفيعة ، شديد الايمان بقوة العقل واستطاعة العلم ، شديد التعلق بحرية الفكر والفرد وكرامة الانسان . والمدارس الافرنسية تخرج كبار المفكرين والادباء والفلاسفة والعلماء والمخترعين . انما اقتصارهذا المنهاج على تثقيف العقل وحده يؤدي الى خلق تضخم بالغ فيه يختل معه التوازن بين القوى الفكرية والخلقية والجسمية ، فيطغى العقل على الخلق والارادة بدلا من ان ينير لها الطريق ، ويتخرج نشء متشكك متردد ، ضعيف الارادة ، هزيل الشخصية ، شديد النعومة ، متعلق بالتنعم والرفاه المادي ، ليس له نظرة جدية الى الحياة ولا موقف الرجولة من الاحداث .

منهاجنا التعليمي

الان وقد ذكرنا شيئاً عن المنهاج اللاتيني وبينا وجه الخلاف بينه وبين المناهج الاخرى لا بد لنا من ان نتساءل عن المنهاج التعليمي المطبق في مدارسنا .

لا يشك احد في ان منهاجنا التعليمي ليس بالانكليزي ولا بالاميركي وليس من الصعب اثبات بعده عن المنهاج اللاتيني . ولو كان الامر على عكس ذلك لكان التفكير الصحيح والعقل السليم والثقافة الحقيقية مشاعة عند نشئنا المتعلم في حين انها الفاكهة المحرمة على المدرسة السورية . أفليس من الحق ان نقول عندئذ اننا ومنهاجنا التعليمي في ضلال مبين ؟

والحقيقة هي ان القائمين على شؤون المعارف كانوا قد اجتزؤا من نظام التعليم الافرنسي ، الذي يؤلف وحدة متماسكة وحلقة تامة ، الجزء المتعلق بالبكالوريا ، واتوا به الى مدارسنا يطبقونه تطبيقاً اعمى بعد ان استبدلوا باللغة اللاتينية لغة الضاد ، واضافوا لنا قليلا من تاريخ الاجداد . وكل تصحيح جرى للمنهاج فيما بعد كان في الحقيقة تصحيفاً وكل اصلاح له كان تشويشاً وتشويهاً ، وكل تفكير صُرف ، كان قد صرف لتعقيد آلة المدارس وتنفير المدرسين .

فمنهاج التعليم الافرنسي الذي وصمناه بالضعف والنقص قد وضعه مع ذلك كبار العقول وفحول الادمغة لتعهد استمرار الادمغة الفحلة والعقول الكبيرة . فهو اذن منهاج سليم ، فيه نقص وضعف وليس فيه اضطراب او تشويش ، له مع ذلك اهدافه ووسائله واتجاهه . اما نحن فبالرغم من خطئنا الاول الناجم عن مجاراتنا اياه في ناحية ضعفه ، أخطأنا ثانية في عدم استخدام ناحية قوته . فأضفنا خطأ فوق خطأ حتى مسخنا المنهاج مسخاً وشوهناه تشويهاً واليوم نحصد ما جنته ايدينا .

فقوة المنهاج اللاتيني او المناهج الاخرى هي في كونه يقوم على امرين اساسيين : الاصطفاء ، والتنوع او التنوع في سبيل الاصطفاء . والوصول الى ذلك فتحت المدارس المتعددة الانواع في مختلف درجات التعليم . وكل من هذه المدارس يجذب اليه نوعاً من النشء ليشحذ عقله ويوسع مداركه ويوجهه وجهة معينة علمية كانت او عملية . فهناك المدارس المتوسطة ، المتعددة الانواع ، التي تقبل الطلاب بعد انهائهم تحصيلهم الابتدائي : مدارس الصناعة ، والزراعة والتجارة والمهن والمدارس الابتدائية العالية وغيرها . وكل هذه المدارس تتوازى مع النوع الوحيد الموجود عندنا وهو المدرسة الثانوية او كما نسميها المدرسة التجهيزية التي يؤمها الطلاب الراغبون زيادة في العلم والمعرفة . لكن ثمة نقطة تفرع اخرى لتنوع ارقى واصطفاء اعلى تبدأ بعد حمل شهادة الكفاءة وتوزع الطلاب الى عشرات المدارس الثانوية الفنية : في الزراعة والصناعة والتجارة والمهن والنسيج والكهرباء والكيمياء . بل ثمة مدارس البرق والبريد والهاتف وغيرها . وكلها تتوازى مع القسم العالي من المدرسة الثانوية الذي ينتهي بشهادة البكالوريا .

فوجود هذه المدارس المتنوعة والموازية للمدرسة الثانوية هو امر ضروري لا لتخفيف الضغط عن هذه الاخيرة كما هي الحال عندنا ، بل لتأدية مهمة الاصطفاء التي لا يقوم مجتمع سليم من دونها . حتى ان التنوع موجود في المدرسة الثانوية نفسها فتنقسم الى ثلاثة اقسام متميزة كل التميز توجه الطلاب وجهات مختلفة .

فشهادة البكالوريا ليست في فرنسا بغية كل الطلاب ، بل الصفوة المختارة منهم ، ذات المؤهلات والاستعدادات ، والتي ستطرق ابواب الجامعات بكلياتها المختلفة ومدارسها العالية ومعاهدها العديدة .

هذا هو المنهاج اللاتيني الغني بالتنوع والقائم على مبدأ الاصطفاء، فاي منهاج ممسوخ نطبق في بلادنا ! فقد فهم القائمون على شؤون التعليم عندنا منذ عشرة سنين ان توحيد التعليم، او المدرسة الوحيدة كما ينعتها الافرنسيون، يعني المدرسة الواحدة، مدرسة التجهيز. ففتحوا للنشء عامة هذا الطريق الوحيد الضيق ووضعوا له في نهايته شهادة غريبة الجسم، فتانة الاسم، ودفعوهم فيه بمناكبهم يتزاحمون. وهكذا اصبحت البكالوريا، لنقص التوجيه والاصطفاء، بغية كل الطلاب في بلادنا مهما كانت مواهبهم واهلياتهم. وشتان بين من تكون غايته من الدراسة حمل الشهادة وبين من تكون الشهادة تكريساً لنضج عقله وسلامة تفكيره.

ثم ان المنهاج اللاتيني لا يقتصر على منهاج الدروس المكتوب بل يتناول ايضاً الاشخاص الذين يشرفون على التعليم من مدرسين ومفتشين ومديرين ورؤساء، اي يتناول الانظمة والقوانين العامة، من ضمانات قومية ووطنية الى مسابقات متعددة شديدة تسهر كلها على ان يبلغ الانسان المركز الذي يطمح اليه بنتيجة مؤهلاته الفكرية والخلقية. والفارق كبير من حيث خدمة المصلحة العامة، بين من يبلغ مركزاً بنتيجة جهوده وكفاءاته وبين من يشار اليه بغمزة عين من فوق. ففي احتلال شخص مركزاً لا تؤهله اليه كفاءاته ابعاد للشخص الذي يستطيع الافادة في هذا المركز، ثم تخريب لوظيفة هذا المركز.

النتيجة التي وصلنا اليها هي اننا لا نطبق في تعليمنا اي منهاج غربي. وكل ما هنالك اننا اخذنا منهاج التعليم الافرنسي وسلخنا منه نظام البكالوريا، واقتلعنا هذا النظام من ارضه وسمائه وقطعنا منه اغصانه واوراقه وبسطناه تبسيطاً رياضياً حتى امست الشجرة ذات الاصل والفرع والاوراق في ايدينا عموداً من الخشب لا يعيش ولا ينمو بل في طريق الزوال. فالى الذين ينظرون الى جوهر الامور ويروعهم هذا المستوى العادي، وهذه الثقافة شبه العامية التي يتحلى بها جيل اليوم، وهذا الفقر في الرجال – وهو في رأينا حقيقة واقعة – الى هؤلاء نقول: ان هذا المنهاج الممسوخ والمعكوس والابتر الذي يطبق في بلادنا قد قتل ويقتل كل بذرة للعبقرية، ومدارسنا لا تنشىء ولن تنشىء اي مفكر او عالم او اديب. بل ان نظامها الموّحد ومنهاجها المبسط ليسهران على تخريج هذا الجيل الذي لا يجد له عملا في غير مجال الوظائف الحكومية.

دمشق صلاح الدين البيطار

الاديب

✱

– لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير).

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي:
في سوريا ولبنان: ١٢ ليرة لبنانية.
في الخارج: ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت

– الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد

– احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى والثانية فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها وثمن الجزء من السنة الاولى ليرتان ومن السنة الثانية ليرة ونصف.

– تدفع الادارة خمس ليرات لبنانية ثمن النسخة الواحدة من الجزء الاول من السنة الاولى ١٩٤٢
وتدفع ليرتين ثمن النسخة الواحدة من الجزء الثالث من السنة الثالثة ١٩٤٤

– المقالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر.

★

ادارة الاديب: شارع الاحرار، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها: البير اديب
سكرتير التحرير: بهيج عثمان
المدير الفني: مختار شملي

◆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت – لبنان

النـــائمة الماشية

قصة للاديبة سيبيل مير

★

اظنك لا تحب قصص الاشباح أليس كذلك ؟ ولكني احب ان اقص عليك احدهـــا في سبيل المعرفة والاعتبار . ففي احدى ليالي الشتاء القارسة ، والريح تعصف بشدة ورهبة والامطار تهطل بغزارة فيها ظلمات ورعد وبرق ، كانت ضربات المـــاء تتوالى على زجاج النوافذ ، والابواب تحركها الريح فتصر تارة وتضرب اخرى ، وقد جلست تحت مصباحي الاخضر اطالع قصة عنوانها « لا تقرأها ليلاً » ولكني مع ذلك كنت اقرأها بهدوء تام وطمأنينة ساخرة .

وبينما انا كذلك اذا بضربات عميقة متتالية على الباب يهتز لها كياني وتفقدني شجاعتي المعهودة ، فعلى الرغم مما عرفه الناس عني من الجرأة واللامبالاة لم اجرؤ على فتح البـــاب لذلك الضيف الطارىء في تلك الساعة المتأخرة ، وهدأت الطرقات حينـــاً ، ثم عادت تتكرر بصورة اشد واقوى ، مما حملني على استقباله مع جهلي من يكون . وفتحت الباب ويا لهول مـــا رأيت ، شبح هائل تلقـــاني بسعال شديد مزعج ممتزج بصفير اشبه بعويل الرياح ، قد التف بكفن طويل مريع ، اندفع داخل الباب والعاصفة من ورائه ترمي المدخل بمياهها العكرة ورياحهـــا اللاذعة ، ومشى يضرب الارض بخطواته في حركة آلية فتحت على اثرهـــا فمي لاصبح مستنجدة لولا ان عرفت فيه صاحبة القصر وقد غطت رأسها بدثار واسع تتقي المطر بينما لبست قبقابـــاً يعلن عن نفسه بتلك الضربات التي يحدثها عند كل خطوة .

لقد كانت على كل حـــال صاحبة القصر ، وكم سخرت من نفسي لما تجلت لي الحقيقة . وتقدمت منها لاستمع الى تمتمتها المبهمة فرأيت لزاماً علي ان اسايرها الى الطابق السفلي حيث اساعدها في الخلاص من ذلك الحادث الذي اجهله ، والذي جعلها شبه حولاء لشدة ما استولى عليها من الفزع . واجتهدت كل منا في حنكة ولباقة ان تكون هي المتقدمة على الاخرى حتى وصلنا الى المكان ونظرت من خلال الزجاج فاذا بي ارى ضوءاً خافتاً يعلو ويهبط ، ويصحب ذلك ضجة غريبة مضطربة تصرف تارة وتفرقع اخرى ، ثم احتجب الضوء ولكن ليبدو ثانية ، واخذ يقترب مني شيئـــاً فشيئاً ، يا الله ! لقد شعرت بالخوف يغمرني ، وحاول شعري ان ينتصب لو لم يكن مقيداً بجهازي ، ولكني جمعت شجاعتي وتهيأت بجميع حواسي لتلقي الخصم المجهول ، واذا بالضوء ينطفىء ثم يعود فيلتمع اكثر من ذي قبل ، ولكنه مـــا زال متجهاً نحوي ، اخذتني الدهشة واستولى علي الخوف ، ولكني تشجعت وتقدمت بقلب جريء فدفعت البـــاب ودخلت وصاحبة القصر على اثري ، وادرت مفتاح الكهرباء لارى ما خلف الضوء الغريب ، ولكن مجرى النور كان منقطعاً ، ونظرت الى الضوء فرأيته قد استقر في ركن الغرفة وتأهبت للانقضاض على صاحبه والامساك به لئلا يفر مني .

يقولون ان الخوف يخلق الشجاعة ، ولكني لم اكن ذات مرة احدى تجارب هذا المثل . فانا شجاعة وجميع الناس يعرفون عني ذلك ، وها انذا استقبل الموقف بابتسامة ساخرة . ولكن ! يا الله ! . . . لقد اقترب مني ، . . . اريد ان اصيح . . . واغمضت عيني وانا اشعر بدنو ساعتي الاخيرة ، ثم سمعت صوتاً مألوفاً لدي يقول : آه . أهذا انت ؟ لقد وقعت الآن بقبضتي . وانطفأ الضوء ، وانطلقت رصاصة ولكني ما زلت حية وما زال الظلام محيطاً بي ، ولعنت في سري تلك المرأة الغبية صاحبة القصر الـــتي لم تسعفني في النور ابدد به مخاوفي ولكن سرعان ما اضاءت الغرفة ، ونظرت ، فسخرت من شجاعتي واستيقظت من نومي واخذت اعتذر لصاحبة القصر لدخولي المفاجىء في غير حينه ، بينما اخذت هي بدورهـــا تقذفني بوابل من الشتائم اضطرتني معها الى الهرب تاركة عندها اوهامي التي جعلتني اكتشف فيها تلك المرأة الغبية الشرسة .

وتسللت في الظلام عائدة الى غرفتي وصادفت في طريقي عينين فوسفوريتين تنظران الي بخوف وحذر ، ماذا ؟ لعل حادثة الضوء ستعود مجدداً ! ولكن تلك التجربة السابقة علمتني الجرأة مع التبصر بالامور ، واضأت الكهرباء فرأيت قطي الاسود ينظر الي وقد استولى عليه الخوف ، ولكن سرعان ما سكن روعه لما رآني في حالة طبيعية . بيد اني طردته الى القبو ليلهو بفئرانه ، ثم سرت وانا في يقظة تامة فدخلت غرفتي وقد غيرت رأيي في قراءة القصة ، فاخترت للمطالعة كتاباً لطيفاً من كتب المؤلف الشهير « س » التي يأمن القارىء فيها اضطراب الخاطر وسوء النتيجة . ولم تمض بضع دقائق حتى استلقيت في سبات عميق افقت منـــه على اشعة الشمس الساطعة تغمر غرفتي وتبدد ظلام اوهامي الدامس .

دمشق — نذير ذهبي

القصة في الادب العراقي

بقلم مهدي القزاز

☆

كانت القاهرة بعد الحرب الكبرى الماضية مركزاً ادبياً وثقافياً لاقطار الشرق العربي وملجأ احرار الفكر منهم ، ففيها وجد ادباء وشعراء نابهون وصحفيون وكتاب بارزون وفدوا اليها من مختلف بلدانهم العربية وعاشوا هناك يساهمون مع ادباء مصر وكتابها وصحافتها في خدمة الادب والثقافة ، لان القاهرة آنذاك كانت تعيش في جو من الحرية الفكرية والامان والطمأنينة بفضل موقف ولاتها وحزمهم ولموقعها الجغرافي الهام الذي جعلها صلة الشرق بالغرب .

ومن القاهرة كانت البلاد العربية وطلاب المعرفة والادب فيها يتمونون بغذائهم الفكري ويطلعون على التيارات الادبية الحديثة والشؤون الاجتماعية وكل ما له اتصال بالثقافة وتربية الذوق وانماء الاحساس والشعور ورسم الطرق الكافلة لنهوض الامة ووثبتها وتقدمها وخلق وعي جديد يتناسب مع ما كان يستهدفه احرارها آنذاك .

وكانت البلاد العربية في تلك الفترة المظلمة لا تزال تنفض عنها اثواب العهد العثماني البغيض وما خلفه في مدنها والساكنين فيها من فقر وجهل وامراض وسجون . فكانت تتعثر في شؤونها ولا تعرف باي اصلاح تبدأ القيام به وهي ترى كل شيء بحاجة الى علاج واصلاح وعلاوة على كل هذا كان مصيرها السياسي لا يزال غامضاً ومرتبطاً لذلك لم ينصرف اهتمامها الى اصلاح الحالة الثقافية والشؤون الفكرية بل انشغلت باشياء اخرى لا تمت الى هذه الناحية بصلة من الصلات .

فبقيت مدينة القاهرة تصدر الصحف والكتب والمجلات وما فيها من قرائح الشعراء والادباء والكتاب والصحفيين الى البلاد العربية فكانت هذه الموجات الادبية تحدث تأثيرها في النفوس فتعمل على ايقاظ الهمم واثارة الشعور وتنوير الافكار والاهابة للعمل في سبيل نهضة ثقافية في البلاد العربية .

وقد كان العراقيون وخاصة المثقفون منهم يعيشون في تلك الفترة في جو من الحرمان العقلي وجدب في التفكير حيث لم تكن توجد في العراق صحافة بمعناها المفهوم في الوقت الحاضر تغذي افكارهم وتفتح لها كوى من المعرفة والثقافة وتوقفهم على شؤونهم الداخلية وما يجري في العالم العربي والاجنبي من تموجات ادبية وفنية واجتماعية ونهضات شعبية فلهذا كان البريد المصري وما يحوي من صحف وكتب ومجلات محررة باقلام كتاب وادباء من مختلف الاقطار العربية من مصريين ولبنانيين وسوريين وفلسطينيين هو الغذاء الفكري الوحيد الذي كان يغذي العراقيين ويطلعهم على شؤون العالم السياسية والادبية والفكرية وكان الاهتمام به كبيراً لدرجة ان مجرد تأخره عن الوصول يحدث رجة فكرية ويثير مختلف الاحاديث والاقوال .

ولهذا السبب كان للادب المصري ولادبائه وللصحافة الادبية التي كانت تصدر في القاهرة قبل ثلاثين عاماً اعظم التأثير في الحياة العقلية العراقية وتوجيهها ومن ثم ابراز خصائصها ومكوناتها الفكرية خاصة فقد كان يندر وجود الاشخاص الذين يعرفون لغات اجنبية الى جانب لغتهم العربية وذلك لان تعليم ودراسة اللغات الاجنبية كان معدوماً في العراق في ذلك العهد ما عدا اللغة التركية التي كانت تعلم لاشغال وظائف الحكومة . ولم تكن توجد للعراق بعثات الى الخارج كما هو الآن . فاقتصرت مطالعة الادباء في العراق على ما يأتيهم عن طريق القاهرة من كتب ومجلات وصحف تحمل روائع انتاج ادباء الامم العربية وما يترجمونه في كل فن من فنون الادب والتفكير .

وكان الادب المصري وما يتمتع به من حرية واشراق وعمق وكثرة انتشاره في العراق واقبـال المثقفين والادباء على مطالعته والاشتراك مع ادبائه في التفكير وابداء الرأي حسب تفـاوت ثقافتهم واطلاعهم قد ابتدأ يكون نهضة فكرية في العراق ويساعد على صقل الذوق وتنمية الروح الادبية في النفوس وذلك لما حفل به هذا الادب من المتع الذهنية والثقافة الفكرية والتوجيه العقلي نحو حياة زخارة بالعواطف مليئة بالآمال والوثبات ...

وقد ساعد انتشار هذا الادب وذيوعه وتحسس العراقيين بروعة هذه الحياة الفكرية على انشاء صحافة عراقية تصدر بصورة منتظمة اخذت تقتبس المقالات والقصص وخلاصات الكتب عن الادب المصري علاوة على ما تنشره لادباء وشعراء عراقيين من بحوث وقصائد ولمع افكار فتكوّن في هذه الفترة جو ادبي اظهر عدة ادباء وشعراء اخذوا يكونون لهم مكانة مرموقة في دنيـا الفكر ليس في العراق فحسب بل في بلدان العالم العربي ايضاً .

فاخذت جريدة « العراق » لرزوق غنام و« الناشئة » لابرهيم صالح شكر و« المفيد » لابرهيم حلمي العمر و« الحرية » لرفائيل بطي وغيرها من الصحف والمجلات تنشر ألواناً من الادب المصري والشعر المصري الى جانب بحوث ادباء العراق فكانت جريـدة « العراق » تقوم باصدار ملاحق ادبية ضخمة كل اسبوع يكتب فيهـا الشبيبي والازري والبصير والجواهري والشرقي والزهاوي والرصافي والكرملي ومصطفى علي وعباس فضلي خماس والدكتور مصطفى جواد واحمد عزت الاعظمي ومهدي مقلد والصراف والاثري وغيرهم من كبار الكتاب والشعراء والباحثين هذا علاوة على ما تنشره وتقتبسه من فصول في النقد والادب والسياسة والاجتماع فضلاً عن تشجيعها الكتاب الناشئين بنشرها مقالاتهم وبحوثهم مما كون طبقة من كتاب الشباب والادباء ظهر اثرهم وثقافتهم بعد سنوات .

وكانت مجلة « الحرية » ميداناً لاقلام الكتاب والشعراء من مصريين ولبنانيين وسوريين فكتب فيهـا العقاد والمازني ومظهر وميخائيل نعيمه والريحاني واقتبست قصائد حافظ وشوقي مع نشر الفصول الادبية الطريفة للكتاب والبـاحثين في العراق والشرق العربي وكانت اول مجلة ادبية شهرية ظهرت في العراق اعتنت بتراث الفكر العربي ونشر الروح الادبية وربط العراق مع البلاد العربية بوشائج ادبية كان لهـا اثرها في الدعاية الادبية للعراق وللادباء العراقيين .

ولبثت الصحافة العراقية طيلة العشرة سنوات التي انقضت بعد الحرب تأخذ عن الادب المصري وادبائه والصحافة المصرية وكان جميع الكتاب والادباء والصحفيين في العراق يستشهدون في مشاكلهم الادبية وبحوثهم الفكرية وصراعهم الذهني وجدلهم ونقدهم بآراء الكتاب والادباء في مصر على اساس كونهم حجة في هذه المواضيع ولاقوالهم منزلة النضج والكمال . ولم يتكون في هذه الفترة اديب عراقي ذو شخصية ادبية له انطباعاته وخصائصه مـا عدا بعض الشعراء الذين دوى اسمهم في العراق والشرق العربي وكانت لهم خصائصهم التي تفردوا بها عن باقي شعراء البلاد العربية كالشبيبي والبصير والجواهري وغيرهم وكان لهؤلاء الشعراء اثر كبير في تغذية الادب العراقي بروائع الشعر العربي .

واخذت المدارس العراقية تخرج المتعلمين افواجاً افواجاً وجماعات اثر الاخرى فكان هؤلاء الشباب المتعلمون يقبلون بنهم شديد على مطالعة الكتب والصحف والمجلات التي ترد بكثرة من القاهرة وقليلاً من بيروت ويلتهمون ما فيهـا التهاماً من روائع البحوث الادبية والقصص التحليلية والشعر الرائع واخذت كثرة هـذه المطالعة والاقبال عليهـا تؤثر في تفكيرهم واحاديثهم وعقولهم وتحدث في مجتمعاتهم تياراً من الذوق وحسن التفكير .

ولما كانت القصة اقرب فن من فنون الادب الى القلب واشدها امتزاجاً بالروح ولعباً بالعواطف والاخيلة وادناها الى فهم الحيـاة بظلالها والوانها وسعادتها والمها وتصويرها جميع المشاكل والحوادث لذا كان الاقبال على ما تنتجه المطابع المصرية وما تنشره صحافة مصر من قصص وروايات وما تترجمه عن الادب الغربي عظيماً واخذ تأثير هذا الادب يظهر سريعاً في جو العراق الادبي حتى ان سيداتنا وآنساتنا المثقفات كن يقبلن على قراءة هذه القصص بلذة وشوق واعجاب وذلك لما فيها من صور وألوان رائعة .

فاخذ الجميع يقرأون هذا النوع من الادب المصري وكان سيل القصص والروايات الموضوعة والمترجمة لا ينقطع من مصر والادب القصصي المصري يأتي اسبوعياً بكثرة فكان الشبـان والشابات والشيوخ يقرأون هذا اللون من الادب باهتمام ولذة وشوق لكونه مفاجأة ادبية جديدة استهوتهم وحلت في قلوبهم محلاً طيباً اثار في نفوسهم مختلف الذكريات .

وفي هذه الآونة بدأت الصحف اللبنانية والمجـلات الادبية

فيها تمنى بادب القصة فاخذت « البرق » للاخطل الصغير و« المعرض » لميشال زكور و« المكشوف » لفؤاد حبيش و« صوت الاحرار » لجبران تويني . وبعض صحف ومجلات اخرى ترد العراق وفيها قصص صغيرة موضوعة ومترجمة محررة باسلوب لطيف وانشاء منمق فكان الاقبال على قراءتها عظيماً من جانب العراقيين مما زاد في شغفهم بهذا اللون من الادب القصصي .

ولما رأت الصحافة العراقية هذا الاقبال العظيم من المتعلمين والمتعلمات في العراق على الادب القصصي اخذت تقتبس يومياً قصصاً صغيرة موضوعة ومترجمة عن صحف ومجلات القاهرة وبيروت ، كما اخذ بعض الشباب العراقي يحاول ترجمة بعض الاقاصيص الصغيرة عن التركية والانكليزية كما ان بعضهم ابتدأ بوضع الاقاصيص المحلية ونشرها في الصحف العراقية ، ، الا ان هذا الانتاج العراقي سواء أكان مترجماً او موضوعاً كان قليلاً جداً وذلك لان هذه الاقاصيص لم تكن مكتوبة باسلوب يستهوي الاسماع وتستطيبه الاذواق علاوة على خلوها من روح الفن القصصي وما فيه من حياة وعواطف وتصوير الا انها كانت محاولة لا بد منها بعدما تهيأت النفوس للكتابة وارادت التنفيس عن عواطفها وآرائها وميولها بهذه الواسطة التي تراءت لهم اسهل من غيرها الا انهم عندما جربوها وجدوا ان الفن القصصي يحتاج الى ممارسة للطبائع البشرية وخبرة بالحياة واحساس مرهف وجو صالح يساعد على الالهام والنبوغ والابتكار . . .

واخذت الصحف العراقية تشجع هؤلاء الكتاب الناشئين في القصة وتفسح لهم من اعمدتها لنشر انتاجهم فأخذ (محمود احمد) ينشر في جرائد العراق والاستقلال والبلاد قصصاً محلية ويترجم بعض القصص عن التركية وصدرت له عدة مجموعات قصصية من بينها (الطلائع) وكان اول اديب عراقي كتب في القصة و (انور شاؤل) ابتدأ بنشر قصص موضوعة ومترجمة في جريدة العالم العربي ومجلته (الحاصد) وصدرت له مجموعتان (الحصاد الاول . والحصاد الثاني) و (سليم بطي) كتب قصصاً ومسرحيات وترجم كثيراً عن الانكليزية في مختلف الجرائد والمجلات التي كانت تصدر آنذاك واذيعت بعض مسرحياته من دار الاذاعة العراقية وصدرت له عدة مجموعات قصصية . و (شالوم درويش) الذي ترجم ووضع عدة اقاصيص وصدرت له مجموعة قصصية . و (عبد المجيد لطفي) الذي كتب قصصاً موضوعة وترجم عن التركية وصدرت له مجموعتان قصصيتان .

وقد كانت جميع هذه القصص التي وضعها وترجمها هؤلاء الشبان الادباء خالية من الروح القصصي الفني الحديث حيث انها كانت اشبه بحكايات منها بقصص ذات جمال فني وتصوير رائع وبالرغم من جمهم قصصهم هذه في كتب ونشرها على الجمهور لم يتقبلها الذوق العراقي بالاعجاب لانه تعود ان يقرأ القصص المصرية الصغيرة والكبيرة مترجمة ام موضوعة فيجد فيها ما كانت تصبو اليها نفسه وتثير خلجات فؤاده وتحرك عواطفه ، الا انها كانت بداية لا بأس بها فقد مهدت الطريق لشباب آخرين من الطامحين والمتحمسين للاداب الاوربية والذين دفع بهم تيار النهضة الادبية المصرية واللبنانية آنذاك الى التأثر بهذا الجو القصصي الممتع الذي خلقته جرائد مصر ولبنان فقاموا بمحاولات جريئة موفقة في كتابة القصة كان لها صداها في النفوس واثرها في توجيه الافكار واقبال المتأدبين على قراءتها مما شجعهم ذلك فتطوروا في قصصهم تطوراً محسوساً واصبحت لهم مذاهب مختلفة واساليب متفاوتة .

وقد ظهر من هؤلاء الشباب في هذه الفترة صفاء مصطفى ، عبد الوهاب الامين ، جعفر الخليلي ، لطفي بكر صدقي ، ذوالنون ايوب ، عبد الحق فاضل ، فخري شهاب . . . وآخرون ايضاً الا ان اثرهم كان ضئيلاً جداً في هذا النوع من الادب فصفاء مصطفى الذي درس في انكلترا وتثقف هناك اخذ يترجم روائع الادب الانكليزي لاشهر ادبائه وخاصة قصته الطويلة (النوري) للكاتبة (انا كارنينا) ووضع مسرحية (كاترين) وألف عدة قصص اخرى لاقت من الاقبال العظيم ما تستحقه وكان يمتاز بدقة الترجمة واظهار روح الكاتب والجمال الفني الذي كان شائعاً في قصصه يدل على روح ادبية عالية ونزعة قصصية جعلته في مقدمة كتاب القصة في العراق .

اما عبد الوهاب الامين فترجم عدة قصص عن الادب الغربي في جريدة الاهالي ووضع كذلك بعض القصص التحليلية ثم جمعها في كتاب وكانت تمتاز قصصه بحرارة العاطفة وصدق التعبير وحسن الذوق والتحليل العميق للنفسيات وهو من الشباب الذين يكتبون لارضاء ذوقهم الفني وتصويرما يعتلج في نفوسهم من اماني ورغبات وبدوات . . .

ووضع (لطفي بكر صدقي) عدة اقاصيص وجدانية تحليلية امتازت برقة الالفاظ وهياج العاطفة وثورة الحب وعذاب الحرمان

والتعبير عن خلجات النفس المعذبة وكانت جميع اقاصيصه ذات اضواء والوان تعكس ما يكنه من حب عارم ونفس معذبة .

اما الاستاذ (جعفر الخليلي) فنشر في مجلته (الهاتف) مئات الاقاصيص التحليلية وألف عدة روايات وقصص كبيرة لاقت اكبر تشجيع واقبال من الادباء . وكان بارعاً في التحليل والتغلغل في اعماق النفس البشرية وما يحتدم في العواطف من ثورات مكبوتة وبرع في تصوير الشخصيات وامتاز باشراق عباراته وسهولة انشائه وهو من اكبر المشجعين للادب القصصي ونشره في العراق .

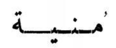
وصدرت (لذو النون ايوب) عدة مجموعات قصصية ووضع وترجم كثيراً في الصحف والمجلات قصصاً لاقت الاستحسان واشتهر بميوله التقدمية وتصوير حالات البؤس والجوع . اما عبد الحق فاضل فكتب بعض الاقاصيص ووضع رواية كبيرة (مجنونان) تلقاها النقاد بالاعجاب . وترجم فخري شهاب عدة قصص عن الانكليزية لاشهر قصاصيها وصدرت له مجموعة اقاصيص ترجمها عن (موباسان) .

فهؤلاء الادباء هم الذين شغلوا الميدان القصصي العراقي واخذوا يقدمون قصصاً موضوعة ومترجمة ذات آفاق واسعة وروح جديدة وخيال وثاب . واخذ هذا النوع من الادب يسير في الطليعة وتهتم به الصحافة ووصل صداه الى الخارج حيث اخذت صحافتا مصر ولبنان ومجلاتهما الادبية تنشر لادبائنا قصصهم وتتناول بالنقد والتقريظ مؤلفاتهم القصصية وتهتم بها وبالتعرف الى مؤلفيها . وكان هؤلاء الادباء علاوة على انتاجهم هذا لا تكاد تصدر قصة في القاهرة او بيروت ودمشق الا وكتبوا عنها تحليلاً ونقداً في الصحافة العراقية . وكان نقدهم هذا يلاقي لدى كتاب هذه القصص احسن الصدى مما كان يدل على نضجهم وسلامة تفكيرهم ولازلت اذكر انني عندما اصدر الاستاذ (محمود تيمور) الكاتب القصصي المصري المعروف مجموعته القصصية (ابو علي عامل ارتست) كتبت عنها نقداً في جريدة (البلاد) ضمنته ملاحظاتي عن القصة وادب كاتبها واتجاهاته الفكرية . وعندما اطلع الاستاذ مؤلفها على هذا البحث كتب لي رسالة خاصة يثني فيها على ملاحظاتي ويطلب التعرف بي توطئة لانشاء صلات ادبية بينه وبيني ، وليس قصدي من عرض هذا الامر الا للتدليل على مبلغ ما وصل اليه الاهتمام بادب القصة في العراق وصداه في الخارج .

ولكن مهما بالغنا في شأن هذا التطور في ادب القصة العراقية فان كتاب هذه القصص لم يتمكنوا ان يتحرروا من شوائب التقليد والمحاكاة ولم يتهيأ لهم من المرونة والاطلاع او التخصص الثقافي ما يكفي لابراز قصصهم فناً كاملا له اساوبه ومميزاته الفنية بين الادب القصصي العربي المعاصر وله اثره ومنزلته المرموقة في نفوس الجمهور وذلك لان اكثر قصصهم لم تسلم من ضعف اللون المحلي حيث لم يكتبوا قصصاً محلية تتناول محيطنا وبيئتنا وعاداتنا وتقاليدنا ونظمنا الاجتماعية والسياسية . ولم يلهم المحيط العراقي احد هؤلاء الكتاب بكتابة قصص تصويرية ذات صبغة محلية اللهم الا السيد جعفر الخليلي الذي كتب عدة قصص من هذا النوع الا انها كانت قليلة جداً وذات افق محدود . والظاهر ان عدم شيوع هذا النوع من الادب القصصي كان نتيجة لعدم اختلاط المرأة بالرجل لان مجتمعنا كان يعد هذا النوع من الادب وذكر علاقة الرجل بالمرأة من الادب الماجن كما ان التطرق الى بعض النظم الاجتماعية ونقدها كان يقابل بالمكافحة ، فلذا خلا الادب القصصي العراقي من هذا النوع من الادب القصصي المحلي الذي يزيد في اطمئنان القارئ ويضاعف تأثره ، لم نشعر بهذا ونحن نقرأ بعض هذه القصص العراقية اذ لا نرى اثراً بيناً لعاداتنا وتقاليدنا ومجتمعنا ومشاكلنا التي تلامس حياتنا اليومية وتتصل بكل ما نباشره من قول وفعل وعادات واعتبارات بخلاف الادب القصصي المصري فان اكثر قصصه كانت مصبوغة بالوان محلية خاصة قصص تيمور ومحمود كامل ولاشين وحسونة ومحمد علي غريب والمازني وهيكل والعقاد وغيرهم من كتاب القصة في مصر وذلك لان المجتمع المصري كان قد ارتقى ولم تعد للرجعية سلطة او نفوذ على عقول هؤلاء الكتاب وتحديد تفكيرهم وانتاجهم .

وبقي الادب القصصي العراقي ينمو ويتسع وينتشر على ايدي الشباب وصحافتهم واصبح له قراء ومشجعون وكان يمكن ان يأخذ مكانته لولا نشوب هذه الحرب وندرة الورق واقفال الصحف الادبية وارتفاع تكاليف الطباعة مما اضطر هؤلاء الادباء والقصصيين الى الانزواء والسكوت منتظرين الوقت الذي يتمكنون فيه من العودة الى وضع القصص والتأليف بروح صقلتها التجارب مسجلين هذه الفترة التي عاشوا فيها ومناظر الحياة التي تجري اليوم في بلادهم ليخلدوا هذا الشطر من حياتهم وحياة بلادهم .

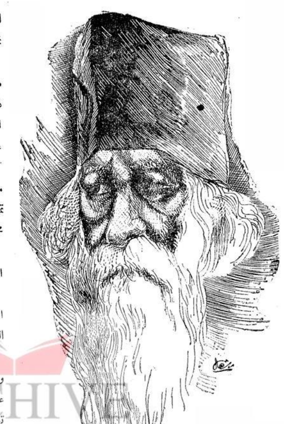
بغداد مهدي القزاز



☆

يا ليل انت لهذه الدنيا طمأنينه
تتقلب النجوى على كفيك مأمونه
لا النور فضاح ولا الاسماع مسنونه
وصغائر القوم
في اللؤم واللوم
تهوي لديك بغمرة النوم
فتعيدها للصبح مكنونه
جياشة ، نكراء ، مجنونه
تصل افتراء الامس باليوم !
كم تفتدي يا ليل من سوم
لو كنت تبقيها الى الآباد مدفونه
في غمرة النوم
فتظل انفسنا عن الاحقاد في صوم
وتظل انت لهذه الدنيا طمأنينه !..

سليم حيدر



رسول الغيوم

لرابندرانات طاغور

✯

تذكرت صوت الناي في اليوم الاول من « اتحادنا » انهم يغنون « اقبل عليكم ذلك الذي كان بعيداً » ولكم اذعن المذعنون الذين زاغت افهامهم ، وعندئذ دقت المزامير ، ولاني عرفت نصف الحق فقط .. عرفت انها كانت بجانبي ونسيت انها كانت لا تزال بعيدة .

رأينا اتحاد الحبيبين، ولم نر الانفصال يجري تحت ذلك الاتحاد ولما كانت اقرب الاشياء الى قلبي كانت بعيدة ، او كانت أبعد الاشياء عني !

سلطة هادئة عظيمة في السماء تمتد بين قلبين يشبهان فراغ اللانهاية ، وموسيقى اللفظ تستطيع ان تملأه ! ولكن نحن الاثنين نملأ السماء بسراب الوهم، بالآمال والمخاوف بالرعب من يوم الى يوم !

واحياناً تهب نسمة على الليالي التي اشعلها ضوء القمر وتمكث مستيقظة في الفراش مع الالم في قلبي ، وانا افكر بألم : اني اضعت ذلك الشخص الذي كان ينام الى جنبي اضاعة ابدية ! فلأي شخص اعود بعد ان انتهي من عملي اليومي ؟! انهـا مصنوعة من صلصال عادي ، ولم تبق طويلاً غامضة .. ومع ذلك عرفت فيهـا روحاً كانت غامضة غموض الابد ! فكيف اقودها ؟ ! وعلى أي جدول من الرغبة معدوم الشواطيء سأجد محبوبتي الضائعة ؟ ! عندما عاد تموز مرة اخرى بعطره بـدأت احلم بارسال رسول من الغيوم الى محبوبتي ...

فدع روحي تطير الى رغبة روحي ، تطير الى تلك التي تاوح اقرب الأشياء الي وهي ابعدها عني !!

دعوا أغنيتي تبحر على سيال الزمن المتدافع ليبحث عن اليوم الماضي الطويل منذ اتحادنا الاول ... اليوم الذي كان غنياً بماء السماء ، الممزوج بعطور الربيع ، وتنهدات الغابات .

في هـذا اليوم تنحني السماء على الارض وتهمس « انا لك » والارض تقول كيف تقدرين ان تكوني كذلك .. وانت عظيمة عظيمة .. وانا صغيرة صغيرة ؟! .. وتجيب السماء قائلة « افلا تعلمين ؟ لقد رسم حولي ستار من الغمائم ليحدد مساحتي ، والارض تقول : انت غنية بالشعاع وباضواء النجوم التي لا تعد ولا تحصى . وانا ذرة صغيرة من الضوء » وتجيب السماء قائلة : في هـذا اليوم اضعت قمري وشمسي ونجومي ، وانت الوحيـدة التي بقيت لي ، دموعي تملأ القلب الذي يرتعش في الهواء وانت هادئة حتى الازل؟! أفلا تنظرين ؟! دموعي نبع في عيوني لان قلبي يزداد رقة كذلك القلب الذي في جوفك ، وبأغنية الدموع تمـلأ السماء المسافات الواسعة التي تربط روحاً وروحاً في حياولة ازلية !!

دعي قطرات المطر تنحدر لتملأ فراغنا بأغنيتي السماء والارض اللتين تزوجت احداها الاخرى ، وكل شيء لا يمكن التعبير عنه في الحب يجد لحناً مفاجئاً في الموسيقى . دعيها تلبس برقعـاً غامق الزرقة يشبه المروج البعيدة البعيدة !! دعيها عندما يرتعش الظلام في غابات الخيزران باصوات العنادب وعندما يرفرف ضوء المصباح في الريح وينطفىء تترك ذلك العـالم المتشابه وتقصد قلبي الوحيد ليضيء ليلها ...

الحلة ـ العراق

محمد شرارة

فلسفة الادب الرمزي

بقلم عبد الله عبد الدائم

◆

اخذت الحيـــاة الداخلية في فرنسا بعد حرب السبعين تظهر كـكل عضوي أي كشيء متحرك ونشيط يعسر التعبير عنه باللغة الرسمية التي يتبناهـــا الوضعيون والنفعيون . وهكذا اخذت النزعة الطبيعية (الفيزيائية) بالانحلال واخذت تحتل مكانها نزعة اخرى تقوم على البحث عن مخرج من هذه الازمـــات والمشاكل يكون بالانكباب على كل ما لم يعلل بعد : وبهذا بدأنا نجد من التجأ الى الحدود القصوى للعلم والى الحوادث الشاذة والظواهر اللاعقلية التي لم تشرح بعد ، كالهلوسة والتنويم المغناطيسي وامراض الشخصية والتلباتيا télépathie ، بينما التجـــأ آخرون الى العلوم الدعية كالتنجيم والسحر ناشدين فيها الفناء والطمأنينة ، كما التجأ آخرون ايضاً الى الحوادث الصوفية وظواهر الكشف والاتصال باحثين خلالها عن نوافذ يطلون منها على المجهول ، وبكلمة موجزة بدأنا نجد ابناء هذا العصر يفرون من الواقعات المنتهية الفانية والافكار المحدودة متجهين دائماً الى الرموز .

وهكذا انبثقت الرمزية من خلال هذه العوامل كلها كفلسفة شعورية وعقلية قادرة وحدها على ان ترضي النزعات البشرية الملحة والرغبات اللانهائية الجامحة مع عدم غلوها مع ذلك في الابتعاد عن حقيقة الوجود غير الانساني .

كانت الغاية المشتركة بين جميع الشعراء الرمزيين ان يقحموا في الشعر افكاراً واسعة النطاق تعبر عن اعمق ما يكمن في الشخصية الانسانية وتترجم الاهتزازات والذبـــذبات العميقة التي تثور في الكائن لدى تماسه واحتكاكه بالاشياء الخارجية وبأحاجي الوجود وألغازه على انها كانت ترمي الى غاية اعمق من هذه اقر بها « بلوخ J. Bloch » نفسه اذ قـــال : « ان الرمزية حادث يتجاوز في اهميته التاريخية والاجتماعية حدود الاهمية الفنية التي تعزى اليه وحدها عادة . فهي احتجاج عام صارخ صوّته الوعي فانتشر بسرعة بين جميع مدروجات الصور الجمالية فلبس في فرنسا لبوس الشعر ، وفي المانيا الطابع الموسيقي وفي انكلترا وروسيا وايطاليا الطابع النثري معبراً في كل هـــذه الصور المختلفة عن مقت مرير للوضوح البليـــد وعن يأس الفكر من ان يخنع المفهوم النفعي للمجتمع البشري » .

تبتدىء الرمزية الحقيقية منذ ظهور «رامبو Rimbaud » الذي ينعته « بول كلوديل » في كتابه عن صفحات القديسين (ص ٧) بانه « متشرد ذو خطوات حثيثة لا يملك شيئاً آخر يوحيه غير انه قد وجـــد الخلود » . وتمتـــاز رمزية « رامبو » بالتركز والشدة النفسية والتعبير الحي السريع عن بريق الصور والافكار والاحساسات في صيغ من الالفـــاظ جديدة مبتكرة وفي مزيج من تناسق اللحن وانشقاقه . فهو قد علا فوق امكانيات اللغة واستطاع ان يفيض عبقريته في لغة جديدة ابتكرها لا تأبه كثيراً للتراكيب والاصطلاحات السائدة بل تعبر عن معان اكثر حدة لا في مراميها فحسب بل في جوهرها وكثافتها والوانها ورنينها السري وقدرتها على اثارة الخواطر الشتيتة .

وتعبر صفحات « رامبو » الشعرية عن محنه الشخصية العديدة وروحه العنيفة التي عرفت الصراع المرير منذ السادسة عشرة من سنيها والتي لم تبلغ التاسعة عشرة الا وقد تمخضت عن شعر حالك السواد معقد الوقع كذلك الذي نجده في « المركب النشوان » او في « باريز تقطن من جديد » او في « اخوات الاحسان » الخ ... ولذلك كانت اكثر اشعاره بعيدة عن المشاكل الانسانية العامة معبرة عن حالات الشاعر النفسية كما نجد ذلك مثلاً في « فصل في جهنم » حيث يتمثل لنا الصراع بين رامبو وفرلين . ومن هنا اتصف شعر رامبو بقوة وعنف لم تبلغهما لغة اخرى غير لغته ولا فن آخر غير فنه اذا استثنينـــا بعض لوحات ميكلانجو التي تسلقت ذروة السمو والجبروت .

وبهذا استطـــاع رامبو ، شأن الرمزيين جميعهم ، ان يخترق حجب الالفاظ وان يفسح لنفسه مجـــالاً في الواقع الحي لا يعرف القيود والاغـــلال الاجتماعية وقد بلغ به هذا التحرر من اللفظ حداً جعله يرى الاشياء من منظـــار آخر فيكتشف الالوان في الحروف نفسها وفي الاصوات وجرسها كما فعل ذلك في مقطوعته المسماة بالاحرف الصوتية .

ومن مشاهير الرمزيين ، كما هو معروف ، « فرلين » و« ستيفان ملارمي Stéphane Mallarmé » ثم مؤخراً « بول فاليري » على ألا ننسى ايضاً سابقيهم من امثال بودلير (احياناً) وساماِن Samain وسولي برودوم نفسه في بعض اشعاره . وملارمي هو الذي تعهد شرح هذا المذهب الرمزي واصوله العامة في كتابه

المسمى بالاستطرادات Divagations . يكمن في شعرهم كلهم نفور تام من المفاهيم العملية الجزئية والتحليلات الصورية التجزيئية. فأشعارهم ليست تداعياً من الصور ومن الالفاظ المنفصلة الساكنة المرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً مفصلياً تتخلله فراغات، فهم لا يلبون ابداً صوت الآلية التي تريد ان تخضع الايقاع (rythme) للحساب وعملياته . بل ان الكلمات التي يستخدمونها ، كما ذكرنا ، ليست الكلمات التي يستخدمها عامة الناس اذ تكتسي عندهم اثواباً جديدة ومعاني محدثة. والبيت يؤلف في نظرهم وحدة عضوية فهو اشبه بكلمة واحدة ليس فيها أي انقطاع ولا أي سكون بل كل ما فيها انثناءات لينة وانسياب سريع او بطيء. وايقاع البيت ليس الا ايقاع الفكر نفسه فهو ليس ايقاعاً متتابعاً مكوناً من اضافات وتقسيمات ولكنه ايقاع متناظر حي. وهكذا تكون مهمة اللغة في هذه الرتبة السامية ان ترقص ، ان صحت هذه التعدية ، ألحاننا الداخلية. فلا يخضع التركيب الصرفي النحوي والتنقيط الشكلي لمنطق عقلي جاف منصب من خارج بل للحركة البسيكولوجية الحقيقية ، كما ان الصورة ليست كالصور المجازية او التشبيهية صورة عاطلة مضافة اضافة زائدة متأخرة على الواقع ، بل هي رمز يؤلف مع الفكرة كلا واحداً بل هي الفكرة نفسها كما تحيا وتعيش في « انانا » العميق . ولذلك كان الشعر ثمرة حدس هي لهذا الانا العميق الذي ينظر اليه كسنفونية متسقة . وهذا الشعر بانطباقه مع الروح الحركية لكل منا ، بوساطة ايقاعه ورموزه العضوية ، هذا الشعر يوحي الينا بالمطلق الكائن في ذاتنا .

ولعل من المفيد ان نذكر بعضاً من القوانين التي شرعها ملارمي لهذا الشعر الرمزي والتي تجري، منها الكلمات التالية: « ان الاذن بعد تحررها من عداد خيالي تستطيع ان تعرف المتعة الكامنة في ان تكتشف وحدها جميع التراكيب الممكنة لاثني عشر جرساً. ان السنفونية التي هي الحادث الجوي الحديث تقرب منا الفكرة التي تعزف عن الاصطلاحات الدارجة . وليست للغة صلة بواقع الاشياء اللهم الا صلة تجارية . والقصص والارشاد بل والوصف كل اولئك اشياء قد تكفي لتبادل الافكار البشرية ولان يأخذ الانسان ويضع بصمت في يد غيره من الناس قطعة من النقود . . اما العمل الفني النقي فانه يفترض زوال البيان اللفظي كما ينتقل الشاعر الى وحي آخر للكلمات ناتج عن التصادم بين الاختلافات الحركية فيها فتتبدى في انعكاسات ضوئية متبادلة اشبه ما تكون بذيل من النار على مجموعة من الاحجار الكريمة » . وهكذا ترينا القصيدة حياتنا الداخلية سافرة دائمة الحركة سيألة وشخصية « لان كل نفس هي لحن علينا ان نحله ونفك عقاله ، ومن اجل هذا خلق كياننا وربابتنا » .

وهكذا نجد ان البديع عند الرمزيين يفترض مفهوماً بسيكولوجياً بل مفهوماً للحياة يعارض تمام المعارضة المفهوم الوضعي الذري . وهكذا نقرأ في اشعار هذه الطائفة الثقة بطلق بعيد منبثق عن هذه السنفونية التي هي الشخص الانساني ونجد عندهم مفهوماً عن الواقع اغنى واكثر حياة من المفهوم الجامد الذي بلوره العلم والفكر الوضعي والذي يتناسى دائماً ميداناً اساسياً من ميادين الواقع الا وهو ميدان الواقع السيال الذي لم يخضع بعد لعلاقات المساواة والمعادلات والذي لم يتكيف بعد في قوالب واطارات عملية تصلح للراحة والدعة المادية .

وبهذا استطاع الادب الرمزي ان يدرك الهدف الذي من اجله خلق الشعر ووجد اللحن الا وهو مسايرة النغمات الحية والتمشي مع ايقاعات الصيرورة والفرار من جمود الشمول الاجتماعي الى حيوية الابداع الشخصي . فعرف ان يعلو بالنفس الانسانية الى جو من الانغام القدسية وفضاء من الحان اللانهاية هي من صميم الواقع واس الوجود الانساني أسدل عليها المجتمع بنزعته العملية ستاراً من النسيان ولكن ابت النفس الانسانية الا ان تتمخض عنها في هزاتها العنيفة ومواقفها الحرجة .

على ان الرمزية لم تقتصر على ان تكون ألحاناً شعرية وجدانية بل اصبحت ايضاً ألحاناً فلسفية عقلية تجري على العقل ما اجرته على الشعور وهذا ما يتجلى بوضوح في فلسفة برغسون التي ليست الا رمزية فلسفية . ولا مجال للحديث عن هذه الفلسفة وامثالها في هذه الكلمة ، وكل ما نريد ان نقوله ان الرمزية بدأت بالفلسفة وانتهت بها ، ان كانت قد انتهت ، وانها في روحها نظرة وجودية عامة واشعاع انساني سار، اولى من ان تكون مقطوعات من النظم او النثر او الموسيقى . ومن هنا كانت الجمالية شأن كل الدفعات الوجودية العامة ، ومن هنا عاشت غريبة في النفوس التي لا تعرف الارتفاع فوق ذاتها كما تخلق عوالم جديدة تتصف بكثير من الخصب وان كانت لا تعدم موجات من الضباب هي موطن القوة والضعف فيها .

القاهرة

عبد الله عبد الدائم

من فنون الطعام عند الاقدمين

بقلم نور الدين بيهم
امين المخطوطات بدار الكتب اللبنانية

★

فائمة الوان الطعام

قال ابو الفتح : أُخبرت ان بعض المتقدمين كان يذكر ما يصنع لاخوانه من الطعام في رقعة يكتب عليها اسماء ما سيأتيهم من الوانه ليحبس كل من مدعويه نفسه على اكل ما يحبه ويشتهيه(١)

ووصف الجاحظ مائدة عبد الاعلى بن عبدالله بن عامر قال : « كان لا يأتيه ضيوف الا ويخبرهم قبل الطعام ما سيقدم لهم من اشكاله وانواعه »(٢).

وقالوا ينبغي لصاحب الدعوة — ان كانت الضيافة الواناً وقدم بعضها وقد بقي بعضها ان يخبرهم بانه قد بقي عنده من الالوان كذا وكذا حتى لا يكتفوا من الاول وقد يكون فيهم من لو علم بالطعام الثاني لانتظره . وكذلك يخبرهم عن الحلويات ان لم يحضرها مع الطعام وكذلك الفاكهة وغير ذلك(٣).

قال محمد بن سلام الجمحي : قال بلال بن ابي بردة وهو امير على البصرة للجارود بن ابي سبرة الهذلي : أتحضر طعام هذا الشيخ يعني عبد الاعلى بن عبدالله بن عامر قال نعم . قال صفه لي : قال نأتيه فنجده منبطحاً يعني نائماً فنجلس حتى يستيقظ فيأذن فنساقطه الحديث . فان حدثناه احسن الاستماع وان حدثنا احسن الحديث . ثم يدعو بمائدته ثم يقبل خبازه فيمثل بين يديه قائماً فيقول له ما عندك ? فيقول عندي كذا وكذا فيعدد ما عنده، يريد بذلك ان يحبس كل رجل نفسه وشهوته على ما يريد من الطعام(٤)

الزهور على موائد الطعام والشراب

وكانوا يزينون مجالس طعامهم وشرابهم بالزهور قال ابن منظور : « . . . العمار هنا الريحان يزين به مجلس الشراب وتسميه الفرس « ميوران » فاذا دخل عليهم داخل رفعوا شيئاً منه بايديهم وحيوه به »(٥).

ودعا الاخطل شاب من شباب اهل الكوفة وارسل امرأة باعت غزلاً لها واشترت له لحماً ونبيذاً وريحاناً ، فأكل معه وشرب وقال في ذلك شعراً(٦).

وفي حديث حسان بن ثابت ان جبلة بن الايهم كان اذا جلس للشراب فرش تحته الآس والورد والياسمين واصناف الرياحين(٧)

وروى القاضي ابو علي التنوخي قال : « شاهدنا ابا محمد المهلبي في وزارته وقد اشترى في ثلاثة ايام متتابعة ورداً بالف دينار فطرحت في بركة عظيمة كانت له في دار كبيرة تعرف بدار البركة وشرب عليه . وكان في البركة فوارة حسنة فطرح الورد فيها وفرشه في مجالسه(٨) .

وشرب ابو القاسم ابن ابي عبدالله البريدي بالبصرة على ورد بعشرين الف درهم (٩) في يوم واحد .

الاكل على السفرة

وقد عرفت الاقدمون الاكل على السفرة . ويخبرنا ابن الحاج العبدري المالكي في كتابه المدخل الذي اعتمد عليه البحاثة الاستاذ الزيات (حبيب) ان محمد بن عبدالله كان يأكل على الارض في بعض الاحيان وفي بعضها كان يأكل على سفرة(١٠) .

ونقول بالمناسبة ان محمد بن عبدالله مات ودرعه مرهون لطعام

(١) ادب النديم ص ٣٠ وكتاب البخلاء ص ١٩٣ (٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٣ (٣) زيات . مشرق . المدخل ج ١ ص ١٩١ — ١٩٣ (٤) العقد الفريد ج ٢ ص ٧ المطبعة الجمالية

(٥) لسان العرب ج ٦ ص ٢٨٣ (٦) الاغاني طبع بولاق ج ٧ ص ١٨٥ (٧) التذكرة الحمدونية باريس ٣٣٢٤ ص١٠٧ ذكرها حبيب الزيات مشرق ٣٧ . (٨) نشوار المحاضرة ص ١٤٧ . (٩) المصدر السابق (١٠) المدخل ج١ ص ١٨٨

اهله[11] .

وتأنق بعض الخلفاء والامراء فصنعوا خوانهم من الرخام والمرمر وقيل – وهذا من المبالغة – ان بعضهم اتخذها من الفضة والذهب[12] .

تقطيع الخبز واللحم بالسكين

وقد استعملوا السكين لتقطيع الخبز واللحم عند تناولهم الطعام وقد جاء في المدخل للعبدري ورواه المشرق للزيات كما يلي : « وبعض الناس يتساهلون في هذه الامور فيقطعون اللحم بالسكين اذا ارادوا اكله ومثله الخبز[13] .

الاواني الفضية

وكثيراً ما استعملت الخلفاء والامراء والقواد والقضاة والاغنياء الاواني الفضية والذهبية على سفرهم وكتب التاريخ مشحونة بهذه الاخبار ومن اراد الاطلاع على ذلك فليراجع ابن اياس[14] وغيره .

وكان للواثق بالله اوان وصحون من فضة وذهب وكانت آية في الفن والابداع[15] .

وكذلك كانوا يعنون بالاواني الخزفية فقد جاء في نفح الطيب ان بمالقة كان يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى اقاصي البلاد[16] .

واشتهر في سماط عيد الفطر في القاهرة مائدة من فضة يقال لها المدورة وعليها اواني الفضيات والذهبيات والصيني[17] .

غسل الايدي قبل الطعام

ومن الادب ان يبدأ صاحب الطعام بغسل يديه قبل الطعام ثم يقول لجلسائه من شاء منكم فليغسل فاذا غسل بعد الطعام فليقدمهم ويتأخر[18] .

السواك

وكان من اضر الضروريات عندهم استعمال السواك لتنظيف الاسنان وهذا امر مشهور وقد بالغ بعضهم في كثرة استعماله . منهم الخليفة المأمون فانه كان يستاك كل يوم ساعتين كاملتين[19] .

استعمال المنديل على السفرة

واستعمل المتقدمون مناديل يضعونها على صدورهم عند مناولتهم الطعام وقد وصف ابن هبيرة امير العراق قال : « كان يدعو بالغداء فيتغدى ويضع منديلاً على صدره[20] .

الملاعق

وقد عرف الاقدمون الملاعق وتفننوا بصناعتها وصنعوها من الفضة والذهب والزجاج وكان بعضهم يفضل آنية الزجاج والملاعق على الاواني والملاعق الذهبية[21] .

وقد بلغ ببعضهم الترف « كالوزير المهلبي » انه كان لا يأكل بالملعقة الا اللقمة واحدة وخدمه بقربه يقدمون له الملعقة بعد الثانية عند كل لقمة[22] .

كل يوم كوز وزهور

ابو عمرو بن العلاء بن عمار البصري كان له في كل يوم فلسان يشتري باحدهما كوزاً جديداً يشرب فيه يومه ثم يتركه لاهله ويشتري بالآخر ريحاناً فيشمه يومه فاذا امسى قال لجاريته جففيه ودقيه في الاشنان[23] .

دهن النارجيل

عرف الاقدمون الفجتلين الذي نحسبه من المبتكرات الحديثة وروى لنا ابن بطوطة في رحلته عن كيفية صنعه واستعماله قال : اما كيفية صنع زيت النارجيل (الجوز الهندي) فانهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره فيزيلون قشره ويقطعونه قطعاً ويجعل في الشمس فاذا ذبل طبخوه في القدور واستخرجوا زيته وبه يستصبحون وبه يأتدمون[24] .

وروى اسحق بن اسمعيل عن الوزير يحيى بن خالد البرمكي قال : حدثني ابي انه كان يتغدى مع يحيى بن خالد البرمكي يوماً اذ طلب ارزة اشتهاها فأمر الطباخ اتخاذها بدهن النارجيل فغلط الطباخ

---

(11) بلوغ الارب ج ١ ص ١٠٠ (12) مروج الذهب بهامش الكامل لابن الاثير ج ١٠ ص ١٢٨ . مشرق مجلد ٣٧ ص ١٦٥
(13) المدخل ص ١٩١ . (14) ابن اياس ج ١ ص ١٥ .
(15) اخبار الدول واثار الاول ص ١٥٧ (16) نفح الطيب ج ١ ص ٧٤ (17) الخطط للمقريزي ج ٢ ص ٢٢٠ (18) العقد الفريد ج ٢ ص ٨ المطبعة الجمالية

(19) معجم الادباء ج ١٥ ص ١٤٢ (20) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٩٥ (21) نفح الطيب ج ٢ ص ٦٥ (22) ارشاد الاديب لياقوت ج ٥ ص ١٥٢ (23) وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٨٩ (24) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٦٠

وجعل مكان الدهن نفطاً واتاه بهـا فلما وضع يده فيها قال : « ارفع » ولم يزد على ذلك(٢٥) .

ترتيب الوان الطعام

« اما الرشيد فما كان يتأنق بلبسه الا بمـا تقتضيه الرسوم المحفوظة وانما ينصرف همه الى لذة المطعم بالتأنق في صنوف الالوان وكانت مجالس طعامه كاملة الزينة في صاعات فرشت بالرخام الاخضر ولبست حيطانها بالوشي المنسوج بالذهب(٢٦) وكان يتفنن في طعامه ولكن على غير شره في الاكل .

يبدأ بالمرق تنشيطاً لجسمه ثم يأكل الفاتر(٢٧) من الطعام من البقول واشباهها ثم الدجاج وانواع الطير ثم انواع السمك ثم مـا يطبخ بالتوابل من اللحم والبقول وغيرها حتى تكاد مائدته لا تخلو من السنبوسج وهي رقاق تحشى باللحم والدهن عليه التوابل من الفلفل ثم تقلى بالزيت ويطرف بالخردل فاذا اكتفى منه تناول الحلوى ثم الفاكهة ثم النقل(٢٨) ثم تأتيه الحجاب بماء الورد في قماقم الذهب مع شيء من الريحان فيغسل يديه . (و٢٨ ب) .

منع الاكثار من اكل اللحم

كان ابو عبدالله سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب احد فقهاء « المدينة » وعلمائهم وثقاتهم قال سالم دخلت يوماً على الوليد بن عبد الملك فقال ما احسن جسمك فـا طعامك ؟؟ قلت الكعك والزيت . قال وتشتهيه ؟ قلت ادعه حتى اشتهيه فاذا اشتهيته اكلته وكان يقول اياكم ومداومة اللحم فان له ضراوة كضراوة الشراب (٢٩) .

الحلويات « والطانو »

كان معاوية يأتي لضيوفه بالاقراص المعجونة بالحليب والسكر من دقيق السميذ والكعك المنضد والفواكه اليابسة(٣٠)

(٢٥) المحاسن والمساوي، للبيهقي ج ٢ ص ١٦٦ (٢٦) الاغاني ج ٥ ص ٢٤ وذكر الاغاني انه ما كان يجلس على طعام الخليفة غير امير وعالم . (٢٧) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٢٠ (٢٨) المستطرف للابشيهي ج ١ ص ٨٤ والاتليدي ص ١١٣ (٢٩) ابن خلكان ج ١ ص ٢٤٨ (٣٠) المسعودي ج ٢ ص ٥٦

وكتب التاريخ تسرد من هذه الحوادث الشيء الكثير وقد اقتصرنا على هذا للاشارة فقط لما كانوا يعرفونه عن هذه الحلويات والتي كانوا يصفونها من اشكال والوان لا تقع تحت حصر .

الاطعمة المزورة

وقد عرفوا الاكلات المزورة(٣١) وهي عند الاطبـاء كل غذاء دبر لمريض بدون لحم او قلد فيه جانب من الاغذية الطبيعية بما يقاربها ببعض الحيل ولعل من هنا اتى اسم (كبة حيلة) لخلوها من اللحم(٣٢) او الدهن .

كلاب تجلب الطعام في السلال

هذا ما نشاهده اليوم وقد عرفه الاقدمون فانهم كانوا يربون الكلاب فيما يفيد قضاء حاجاتهم اليومية وقد روى الجاحظ في حياة الحيوان (٣٣) ان بعض الناس كانت تكتب ما تحتاج اليه في ورقة وتضعها في سلة فيحملها الكلب في فيه ويذهب عند خباز او لحام او خضري العائلة فيقرأ البائع ما في الورقة ويضع الحاجات المطلوبة في السلة فيحملها الكلب ويأتي بها الى صاحبه .

تغطية الاواني

اما اصحاب المطاعم العمومية وكل باعة المأكولات والسقائين فانه كان للسلطات محتسبون يفتشون قدور المطاعم ويفحصون مواد الطبخ من سمن وزيت ولحم وغيره وكذلك كل بائعي المأكولات يجب عليهم ان تكون مأكولاتهم مغطاة حتى لا يمسها غبار او تقع عليها بعض الحشرات كالذباب وغيره(٣٤) .

نور الدين بيرم

(٣١) من كتاب الطباخة لابي محمد المظفر بن سيار الوراق . مخطوط يملكه الاستاذ حبيب الزيات ذكره في المشرق مجلد ٣٧

(٣٢) معجم الالفاظ العـامية العربية للعلامة عيسى اسكندر المعلوف نشره في مجلة الاديب عدد تشرين الثاني ١٩٤٤ ص ٣٩

(٣٣) حياة الحيوان للجاحظ ج ٢ ص ١٧٩

(٣٤) مقريزي ج ١ ص ٤٦٣

القوى المدركة عند ابن سينا



بقلم
ابو مدين الشافعي
ماجستير في علم النفس من
جامعة فؤاد الاول

استمر نفوذ ابن سينا كطبيب الى القرن السابع عشر ، ولا يزال نفوذه كفيلسوف مسيطراً الى الآن . ويقرب ابن سينا من بعض علماء النفس المعاصرين بجمعه بين الفلسفة والطب واستفاد من الجمع بينهما كل ما يمكن – بالنسبة الى عصره – ان يستفاد منه .

لنعلم اولا ان ابن سينا كان ثنائياً يرى الانسان مركباً من جسم ونفس . وعرف ابن سينا الجسم من طريق دراسته للطب، وعرف النفس من دراساته الفلسفية القائمة على النفس التي « جعلها محور فلسفته » وذلك لانه اراد ان يكون طبيباً نفسياً كما كان طبيباً جسمياً – واذ انه لم يسمح لنفسه بمعالجة الاجسام الا بعد ما عرف الجسم ، فلم يحاول الوصول الى « شفاء النفس » الا بعد معرفة النفس . وفاق ابن سينا استاذه الفارابي في ميدان دراسة النفس بتعميم بحثه في النفس دون الوقوف عند العقل كما فعل الفارابي . تعرض ابن سينا للنفس الحيوانية والناطقة معاً . وذلك لانه علم ان «القوى النفسية متكاملة ، وهي تعرج الى العالم الاعلى مجتازة مراتب الموجودات المتفاوتة » ويحاول ان يصل الى « شرح امر القوى المناسبة للحس » ويرمي بعد ذلك الى تحليل الحواس الباطنة الداخلية عن طريق الحواس الظاهرة ، وهذه هي الصلة بين النفس والعالم الخارجي . ومن كلمة القوى المناسبة للحس نفهم ان تقسيمه سيكون على مايعرفه ابن سينا في الخارج . وابن سينا لا يسمي حواس النفس حواساً لانه يخصص كلمة حس للادراك الخارجي بواسطة اعضاء الجسم الخارجية، ولكنه يطلق على ادراك النفس الداخلي كلمة قوة ولا شك ان الذي دعا ابن سينا الى التقريب بين الحس الخارجي والقوى الباطنة هو ان كلا منهما يتم بدون شعور ، وبدون تدخل الارادة ، ويقول ابن سينا في النجاة (طبعة مصر ص ٢٤٩) : « على ان قوى النفس ليست ناشئة عن امتزاج العناصر، بل هي مستفادة من خارج وهي قريبة من الحواس الخارجية في انها ملازمة لها توجد في النفس الناطقة وغير الناطقة » ويقول ايضاً في هذا الموضوع : « ان الحيوانات ناطقها وغير ناطقها تدرك في المحسوسات الجزئية معاني جزئية غير محسوسة ولا متأدية من طريق الحواس مثل ادراك الشاة معنى في الذئب غير محسوس (الاشارات طبع مصر ١٤٦) . فالحس يدرك باتصاله بالاشياء الخارجية مباشرة او بواسطة مادة مثل الهواء او الاثير ، واما القوى الباطنة فهي تحس شيئاً مجرداً يسميه ابن سينا معنى ، وهو الشيء المبهم ، وقد يكون هذا المعنى نسبة (relation) بين لون وطعم ، فأنسب طعماً معيناً لشيء له لون خاص معين . ويقول ابن سينا ان ادراكنا لهذا المعنى يدل على ان هناك قوى « يمكنك ان تحكم ان هذا اللون غير هذا الطعم » (الاشارات ص ١٤٢) .. « وان لصاحب هذا اللون هذا الطعم ، فان القاضي بهذين الامرين يحتاج الى ان يحضره المقضى عليهما جميعاً فهذه قوى » (نفس المصدر) وقد يكون هذا المعنى الذي تدركه القوى الباطنة صورة ارتسمت في القوى المدركة . استدل ابن سينا بهذا على وجود « حواس » او قوى باطنة تدرك معاني لا تدركها الحواس الخارجية وقال ان عدد القوى المدركة خمس مثل عدد الحواس . وهذه القوى هي : الحس المشترك ، المدركة ، المتصرفة ، الوهم ، الحافظة .

وصل ابن سينا الى هذه النتيجة من طريقتين : اولاً الملاحظة وثانياً التجربة الطبية ويسمى الاولى الفلسفية والثانية الطبية . بالملاحظة ينظر حوله ويتأمل فيما ينظر ويستخلص عن طريق « التفتيش » او البحث نتائج حتمية، وهي طريقة كثيرة الاستعمال في الهندسة ، والطريقة الثانية هي التجربة الطبية بحيث انه حاول تعيين مناطق الادراك الباطن في الدماغ ، وكلما يتلف جزء من الدماغ نفقد قوى من القوى الباطنة ، وهذه الطريقة الطبية هي التي يعتمد عليها علماء النفس اليوم وتسمى تجارب مرضية

(experience clinicale) . وهو يصرح بهذا في الاشارات بقوله : ولكل قوة من هذه القوى آلة جسمانية خاصة ، وانما هدى الناس الى القضية بان هذه (هي) الآلات ان الفساد اذا اختص بتجويف اورث الآفة فيه » (الاشارات ص ١٤٦) وهذه نتيجة خطيرة وصل اليها ابن سينا مؤيداً بها نتائج ابحاث Gall والتي قال بها Broca و Charcot وسموها بنظرية التركيز الدماغي Centralisation célébrale . وهذه الفكرة تقابل فكرة وحدة الوظيفة في المخ L'unité fonctionnelle du cerveau والتي قال بها Flourens ولكن العلماء والاطباء يميلون اليوم الى الفكرة الثانية .

وكلما تكلم ابن سينا عن قوة من القوى فانه اولاً يذكر ما استنتج من ملاحظاته كفيلسوف ثم هو يعين بعد ذلك مركز هذه القوة في الدماغ . وهذا ناتج عن تجاربه في المرضى ، وعن عملياته الطبية . فيقول في الحس المشترك : أليس قد تبصر القطر النازل خطاً مستقيماً والنقطة الدائرة بسرعة مستديراً » (الاشارات ص ١٤٢) وبهذه الملاحظة وقف ابن سينا على ابواب اكتشاف خطير يلعب دوراً مهماً في هذا القرن : الا وهو السينما او الصور المتحركة . وذلك ناشيء من ملاحظة في تطور الاحساس الضوئي عندما يقع الشعاع الضوئي على شبكية العين فالاحساس لا يتم الا بعد فترة لازمة لكي تتخطى العتبة المطلقة ، وهي عبارة عن القوة اللازمة للاحساس ويبقى الاحساس كامناً اثناء الفترة ، ولا بد له من تخطي العتبة ليمكنه ان ينبه الشبكية .

يتم ذلك قبل الاحساس اما بعده فان الشبكية تحتفظ بالاثر الحسي مدة من الزمن يسميها « فشنر » في قانون خاص زمن الاستقرار . ويقال ان السينما اخترعت يوم اخترع التصوير الشمسي لانه لم يبق بعد ذلك الا جمع صور متقاربة الوضع وجعلها تتعاقب بسرعة معينة تمكن المتفرج من ان يرى الصور تتحرك ، وهذا ناشيء من ان العين تحتفظ بشيء من الصورة المتقدمة ، وتضيف اليها اول الصورة اللاحقة فنشاهد ان الصورة واحدة ، وانها تتحرك كما نشاهد النقط المتلاحقة خطاً واحداً . فهذا التوحيد من صنع قوة تشرك بين الصور ، وهو يشرح كل هذا ببراعة كبيرة فيقول : « تبصره كله على سبيل المشاهدة لا على سبيل تخيل او تذكر » (الاشارات ص ١٤٢) اي ان ما يبصر المشاهد هو مشاهد حقيقية بحيث انه لا يحتاج الى جهد لكي يدرك ذلك بل قد يتم بدون شعور بخلاف التخيل فهو يحتاج الى انتباه ، والتذكر يحتاج الى توجيه والى جهد فكري ، ولكننا كلنا ، وفي أي وقت ، نرى القطر نازلا كخط مستقيم ونرى النقطة الدائرة بسرعة كخط مستدير ونراه كما نشاهد أي شيء محسوس ، موجوداً حقيقة وظهر جهل الشارح اذ اعترض قائلًا : لم لا يجوز ان يكون اتصال الارتسامات في الهواء . وهذا جهل من الشارح بهذه الظاهرة الفسيولوجية وكيف يقف عند المثال الاول الذي ضربه ابن سينا ، ونشاهد انه احتاط لنفسه ، وهو يرد على هذا الاعتراض بالمثال الثاني . ونقرأ حول هذا الموضوع : « اعترض الفاضل الشارح على هذا الاستدلال بان قال لم لا يجوز ان يكون اتصال الارتسامات في الهواء . » (الاشارات ص ١٤٣) أي ان ما تشاهده العين واقع في الخارج ، وهو امر حقيقي « لان القول بمشاهدة ما ليس في الخارج سفسطة وجهالة » (الاشارات ص ١٤٣) يبدو هذا صحيحاً ، ولكننا اذا تأملنا المثال الثاني ، وقلنا ان النقطة التي تدور بسرعة تبدو لنا خطاً مستديراً ، ولكننا لا نستطيع ان نقول ان النقطة تكون في محلين مختلفين في آن واحد . والاعتراض باطل والحق ما نوه به ابن سينا وشرحه « فشنر » . وهكذا يقول ابن سينا بكل وضوح « فقد بقي في قواك هيئة ما ارتسم فيه اولاً » وهذه الهيئة لا تلبث ان تزول والزمن الذي تستغرقه يسميه فشنر زمن الاستقرار ولا يبدو لنا المطر او القطر مثل الخيط الا اذا استقرت الهيئة مرتسمة في قوانا حتى تتصل بهيئة الابصار الحاضر . ونلاحظ في بعض الوقت تقطعاً للصور وتفككاً يتخللها . ويرجع هذا الى تباطؤ في تتابع الصور يمنع اتصال الآثار الحسية للصور المرسومة على الشريط ويجب على العامل الذي يدير الفلم ان يسرع اكثر في ادارة الفلم حتى تتصل الهيئة المرسومة في القوى بالهيئة الحاضرة غير ان ابن سينا لا يقول ان هذا راجع الى حاسة البصر نفسها وهي الشبكية (la rétine) التي تحتفظ بالصورة مرسومة وقتاً معيناً هو زمن الاستقرار او زمن الذبول ولكنه يقول : « فعندك قوة قبل البصر اليها يؤدي البصر كالمشاهدة وعندها تجتمع المحسوسات فتدركها » (الاشارات ص ١٤٢) وهذه القوة يسميها المصورة ويلاحظ ايضاً اننا نستطيع ان نحكم على ذوق فاكهة من لونها فاذا رأينا تفاحة حمراء حكمنا عليها انها ناضجة لذيذة الطعم واذا كانت خضراء عرفنا من اللون انها مرة المذاق ، فهذا راجع الى قوة تحفظ مثل

المحسوسات بعد الغيبوبة مجتمعة فيها » . وهو يعتبر هاتين القوتين متكاملتين فالثانية الحس المشترك هي المدركة والاولى المتصورة معينة على الادراك وهي الحس المشترك . ويقول في القوة المدركة « هي المسماة بالحس المشترك ونبطاسيا وآلتهـا الروح المصبوب في مبـادىء عصب الحس لا سيا في مقدم الدماغ » وهذه دعوى لا يمكننا ان ننقدها ولا يهمنا هنـا الا ان ابن سينا يعين للحواس الباطنة اعضاء او مراكز معينة كما هو الحال في الحواس الظاهرة . غير ان هذه المراكز داخلية باطنية ونستفيد ايضاً من هذا معرفة هذه النزعة الموضوعية (Positive) في ابن سينا . فانه لا يكتفي بالتجربة الخشنة بل يحاول ان يشفع بتجربة علمية طبية .

ولاحظ فيلسوفنا ايضاً ان الانسان وغيره من الحيوان يخافون الحيوان المعادي له عندما يراه لاول مرة ، ولو لم تكن عنده أية فكرة عنه . فيقول : « الحيوانات ناطقهـا وغير ناطقها تدرك في المحسوسات الجزئية معاني جزئية غير محسوسة ، ولا متأدية عن طريق الحواس . المحسوس الجزئي مثل ذئب واحد رأى شاة لاول مرة فانها تدرك فيه معنى جزئياً لان الحيوانات العجم لا تعرف المعاني الكلية التي لا تكون الا عن طريق الاستقراء ، ونحن قد قلنـا ان الشاة تخاف الذئب من الرؤية الاولى في حياتها . ويقول ان هذه المعاني الجزئية غير محسوسة ، وذلك واضح لاننا نشاهد ان الشاة تكون قد عرفت كلب الراعي وتألفه فلا تخـافه ، ولكنها اذا رأت الذئب فانهـا تخافه مع ان الذئب شبيه بالكلب ، فلو ان صورة الذئب التي تدركها الشاة عن طريق الحواس مخيفة لكانت خافت الشاة الكلب كما هي تخاف الذئب وهذا غير واقع واعطانا مثلًا للنفور ومثلًا للاقبال ، فالاول يبين لنا نفور الشاة الطبيعي من الذئب ، وفي الثاني اقبال الكبش الطبيعي على النعجة ، ويقول في هذا الادراك الجزئي انه متنوع وليس من نوع واحد هناك ادراك الخطر او ادراك الانس كما مثل لذلك . وهذا الادراك يقرب من ادراك الحس الذي هو على انواع تحكم به فنقول هذا احمر وهذا حاو وهذا رطب وغير ذلك ، واظن ان هذا هو المقصود من قوله : يحكم به (الادراك الجزئي) كما يحكم الحس بما يشاهده . فهذه القوة يسميها الوهم ويعرفهـا في النجاة (ص ٢٦٦) وفي الشفاء الجزء الاول ص ٢٩١ بقوله : « الوهمية القوة التي تدرك من المعاني الغير المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزئية » ونسبة القوة الحافظة الى القوة الوهمية كنسبة القوة التي تسمى خيالاً الى الحس المشترك ، فهناك اذن قوة خامسة هي الحافظة للمعاني » . بعد حكم الحاكم بهـا ، وهذه القوة تسمى مفكرة اذا استعملت العقل وتسمى المتخيلة اذا استعملت الوهم وهـذه القوة المعينة على الوهم هي الحافظة او الذاكرة .

وقد لخص الشارح لاشارات ابن سينـا هذا كله في تقسيمه هذه القوى الى نوعين الاولى مدركة وهي الحس المشترك والوهم والثانية وهي المعينة على الادراك فيها قوتان : المتصورة والحافظة وقد تكلمنـا عن هذه القوى الاربع والآن نتكلم عن القوة الخـامسة وهي المتصرفة وهي مستقلة ليست مدركة ، وليست تابعة لقوة مدركة معينة وانما هي تتصرف في المدركات كلها سواء كانت متخيلة او مفكرة . وهذه القوة لهـا ان تركب الصور بالمعاني وتفصلها عنها فهذه القوى الباطنة كما يفهمها ابن سينـا ولم نجد فيها كما رأينا محاولة كبيرة للقرب من البحث العلمي . فهو لم يلق القول جزافاً بل حاول ان يسير على فهم معين يقوم على الملاحظة والتجربة . فكان ابن سينا عصرياً في القرون الوسطى ، ولهذا السبب سادت افكاره في اوروبا اثناء قرون متتالية وكان الحجة في علوم كثيرة منها علوم الطب والحكمة حتى القرن السابع عشر . فلا شك انه ترك اثراً كبيراً في فلاسفة ذلك القرن الذين قامت على اكتافهم الحضارة العصرية . ولهذا يرجع لابن سينا فضل كبير في تشييدهـا . وقد يرى قوم في بعض افكاره شيئاً من السذاجة والاعتماد على الملاحظة الخشنة التي يعول عليها العامة ، ولكن ابن سينا كان دائمـاً يتمم ملاحظاته بتفكير دقيق يستخرج به من الملاحظات البسيطة نتائج قيمة — وامثلة صدق العلماء كثيرة فمـا علينا الا ان نرجع الى تاريخ العلم لنجد الكثير منهـا — وتأمل الاشارات او الشفاء والقانون يظهر لنا ابن سينـا لا كطبيب او فيلسوف ولغوي واديب شاعر فحسب ولكنه يبدو كعالم باحث بالمعنى الحديث الذي نفهمه من كلمة عالم في وقتنا الحاضر .

القاهرة ابو مدين الشافعي

لمعة الذكرى

عارف قباسه

دمشق

هشّت الربوة والوادي تغنّي — بحديث العتمة السمراء عنّا
والدوالي لفها كف الضحى — بعبير الشوق والصفصاف حنا
وبأحضان الدراري نغم — مائج الالوان قد أفلت منا
يوم هز الوجد اعطاف الدجى — فترنحنا عليه . يوم كنا ...
ما لقلبي كلما ساءلته — عن صبانا حطم الكأس وأنّا
وباهدابي رؤى معسولة — أمرع الحسن عليها وتثنى
لا تبالي بعدها ان خضّل الغيث احلام شبابي او تجنى
انا لولا لمعة الذكرى التي — تتراءى لي اذا ما الليل جنا
وترد الوتر الهاجع في جهمة المأمل مغناجاً أغنا
انا لولاها لما شعشع في — اضلعي نور ، ولا جفنيَ ارنى

*

كلما شارفت افقاً عبقاً — لم الافق حواشيه وضنا
صوّح القلب على ايناسه — لم يعد في وسعه ان يتمنى

☆

عيون

مواهب الكيالي

اداب

عيونك هل غيرُ تلك العيون — تسامت اليهن أحلاميه
اذا نظرة اورثتني الجنون — فأخرى تداعب آماليه
احبها في الرضى والسكون — وفي ألق النظرة القاسية
فلا تسأليني علام الفتون ؟ — ولكن سلي الاعين الصافية

*

عيونك كم فيها من معانْ — وكم فيها من رؤى خافية
يكلمني بخفي البيان — وتفهم عنهن اشواقيه
فإن هدهدتك اغاني الحنان — تألقن في بسمة راضية
وان اثخنتك جراح الزمان — تلهبن كالهالة الدامية

*

عيونك شعر الهوى والشهاب — يطالعني بالرؤى الحالية
ترقرقُ فيها خفايا الرغاب — وذكرى ضلالاتك الخالية
عيونك يا ويحها من كتابْ — ويا ويح اسطره الضاحية
ولكنه قد خلا من جواب — جوابك للانفس الصادية

الموعد

انتظرني هناك .. فسوف لن اعجز عن اللحاق بك ، الى ذاك الوادي العميق !!! « اسقف شيستر »

للكاتب الامريكي ادجار الن بو تعريب زهير الكزبري

كان ذلك في « فينيس » في ممشى تحت القناطر يدعى « بونتي دي سوسبري » حيث قابلت المرة الثالثة ، او الرابعة ، الشخص الذي اتحـدث عنه الآن ، ولا استطيع ان اتذكر بوضوح ، الظروف التي جعلتني اقابله . ولكن؟ .. هل استطيع؟ . هل انسى كل مـا حدث ؟ نصف الليل .. جسر « سابغ » .. وجمال تلك المرأة ... وروعة ذلك السحر ، المنتشر في ارجاء القنـال ؟

... كانت من تلك الليالي ، المظلمة ، الحالكة ، وكانت ساعة « بيـازا » الكبيرة تدق الخامسة مساء ، حسب التوقيت الايطالي ، وكان شارع « كامبانيل » يقبع ساكناً ، منفرداً وانوار قصر « الدوكال » القديم ، تنطفىء الواحدة تلو الاخرى وكنت اقود قاربي الصغير ، في طريق عودتي من « بيازتيـا » في طريق القنال الكبير ، ولمـا وصلت قرب قنال « سان ماركو » سمعت صوتاً ، نسائياً ، حاداً ، اخترق حجب السكون ، بصرخة وحشية طويلة ، مهتـاجة ، وسرعان ما وثبت واقفاً على قدمي ، وقد أفلت مني زمام القـارب ، واخذتني الدهشة ، واستولى علي الاضطراب ، وما لبث التيار ان دفع بالقارب نحو القنال الصغرى ، حيث وجدت نفسي فجـأة قرب جسر « سابغ » وقد تلألأت آلاف المشاعل ، الوضاءة الجميلة ، واحالت ظلمة الليل الحالكة ، الى نهار رائع جميل .

وما لبثت ان عرفت من خلال الضجيج والحركة ، ان طفلاً انزلج من ذراعي امه ، وهوى الى المـاء من النافذة العالية ، في القصر الشاهق ، فلفه ماء القنال العميق المظلم . ومع ان قاربي . كان الوحيد الذي يمكن الاستنجاد به ، والالتجوء اليه ، في ذلك المكان ، فقد اندفع سباحون مهرة ، يفتشون في اعماق اليم ، عن ذلك الكنز الذي احتضنته لجة الماء . وفي مدخل القصر المتلألأ بالانوار ، وعلى ذلك البلاط الرخامي الاسود العريض ، على بعد بضعة خطوات من المـاء ، انتصبت قامة لن ينسى ملامح وجهها كل من رآهـا . وقفت المركيزة « افروديت » معبودة « فينيس » باجمعها ، وملكة السحر والجمال ، في بلد يتلألأ بالسحر والجمال . وقفت تلك المرأة المرحة الطروب ، المرأة الرائعة الجمال ، حيث الجمال في كل مكان ، وزوجة ذلك العجوز الفاني « مونتين » وأم ذاك الطفل الجميل ، الذي يرقد الان ، ساكناً في اعماق الماء المظلم ، ذلك الطفل الذي كان وحيدها ، والذي يناديها من لجة الماء العميقة ، محاولاً بقوة حياته الصغيرة ، ان يسترجع مداعباتها له وحنوها عليه وقفت صامتة وحيدة ، وقد لمعت قدمهـا العارية البيضاء ، الصغيرة ، الفضية ، فوق الرخـام الاسود اللامع واخذ شعرها المرتخي الذي اسدلته استعداداً للنوم يتوهج ، وهو محـاط بهالة من اللآلىء المشعة ، تضيء رأسها البديع التكوين وتجعل ضفائره الجميلة ، كضفائر زهرة السوسن الغضة . وكان يغطي جسمها الاهيف الناعم رداء شفاف ، ناصع البيـاض في لون الثلج ، ولم يكن يبدو على هذه القامة المنتصبة ، كالتمثال ، علائم الحياة ، او الحركة ، حتى ثنيات ثوبها ، لم تخفق او تهتز ... لم تكن عيناها الوضاءتان ، تنظران مطلقـاً الى اسفل ، الى ذاك القبر الغارق في الماء ، حيث يرقد اعز امل لها في الوجود ، بل كانتا تذهبان الى مكان آخر ، الى سجن الجمهورية القديم ، ذلك البناء المهيب المخيف في مدينة « فينيس » الحلوة المرحة ؟ ولكن ؟ . كيف تحدق هذه الحسناء الى النظر بعيداً نحو ذلك البناء ، بينما ينام تحت قدميها ، طفلها الوحيد ؟ ومن منـا لا يذكر ، ان العين في هكذا



ساعات ، تشبه مرآة محطمة ، تضاعف الصور التي تشاهدهـا وترى في النظر الى الاماكن البعيدة صور الحزن والاسى ؟.. وفي ذلك البناء المهيب ، اطلت كوة سوداء ، على نافذة غرفة المركيزة تلك النافذة التي تواجه البناء ، كأن في الامر شيئاً ، وكأن تلك الكوة وهذه النافذة تشهدان مأساة ، توشك ان تنتهي .

وبينما وقفت « المركيزة » ساهمة الوجه ، شاردة النظرات ، اذابزوجها « مونتي » يظهر قربها كأنه شخص خرافي ، نصفه انسان والنصف الآخر حصان ، وقد ارتدى ملابس السهرة الكاملة ، وحمل بين يديه قيثارة صغيرة ، ثم ما لبث ان امر حاشيته وخدمه بالتفتيش عن الطفل .

ولم استطع مغادرة مكاني ، منذ سماعي تلك الصيحة الحادة بل لبثت مأخوذاً ، مندهشاً ، انظر الى الفراغ بعينين كئيبتين وسرعان مـا وجدت نفسي ، اسبح مع غيري ، للعثور على ذلك الطفل ، بيد ان كل تلك الجهود باءت بالفشل ، وارتد السباحون الاقوياء يلهثون من عناء السباحة ، لم يكن هناك اي أمل في انقاذ الطفل ، حتى ان اكثرهم امتنع ثانية عن رمي نفسه في الماء ، وبينما هم في اضطرابهم وضجيجهم اذ ظهر وجه ملثم في الكوة ، المواجهة لنافذة « المركيزة » ثم ما لبث ان ظهر ثانية امام مدخل القصر ، وقد التف بعباءة سميكة ، وهدأ برهة وهو ينظر الى ماء القنال ، ثم القى بنفسه في القنال ، وظهر بعد برهة وجيزة ، حاملا بين يديه طفلا صغيراً ، ما زال يتنفس بصعوبة ، وقد اثقلت عباءته بقطرات الماء ، التي ما لبثت ان انحسرت لثقلها عن جسم شاب رقيق ، ناعم كانت جميع دول اوربا تهمس باسمه في ذلك الوقت .

ولم اسمع ان احداً ما ، قد فاه بكلمة شكر ، واحدة له ، ولم ار ، ذراعي المركيزة تحوطان طفلها الصغير ، بل شاهدت ذراعين آخرين ، تنتزعانه منها وتذهبان به بعيداً الى داخل القصر ... وارتجفت شفاه « المركيزة » واحتبس الدمع في عينيها ، هاتان العينان الحلوتان ، الصافيتان . اجل !! لقد جفت في مآقيها الدموع ، واهتز جسدها ، اللدن ، اهتزازاً خفيفاً ، كأن الحياة قد عادت ثانية اليه ، وكأن الحركة قد دبت ثانية في ذلك التمثال المنتصب الساكن ؟..

كيف يمكنني وصف ذلك الشحوب ، الذي ، علا محياهـا ، الرخامي ، الناصع ؟ وارتفاع ذلك الصدر ، العاجي ، الممتلىء ، وتلك النعومة التي ظهرت في قدميها الرخاميتين ؟.. وارتعشت ثانية ، واهتز جسدها الطري ، الاملس ، الناعم ، كما تهتز تلك الزنابق الفضية ، بين الحشائش الخضراء ، حين يهب عليها نسيم « نابولي » العذب ، المنعش . واخذ الدم يتصاعد الى وجنتيهـا الشاحبتين ، وتلون خداها بلون الشفق على خليج احدى البحار ...

ما سبب هذا التورد في وجنتيها ؟ ... ما الذي جعلهـا تنظر هذه النظرة الموحشة ، الصامتة ، لمَ ذهبت هكذا مسرعة ، الى غرفتها دون ان تضع قدميها الصغيرتين في نعليها ؟ لمَ نسيت ان ترمي فراءها الناصع ، فوق كتفيها العاجيتين ، ؟ ! لم اضطربت يدها ، الرخصة العنيدة ؟ .. تلك اليد التي هوت فجأة على صدرها ، حين ظهور زوجها ؟ ولمَ سقطت يدها الثانية ، فوق يد الشاب الغريب ؟ . ما سبب تلك الكلمة الحزينة ، التي فاهت بها وهي تأخذ طريقها مسرعة الى داخل القصر ؟ . « لقد انتصرت عليّ ؟ !! » او كانت هذه ، هي الكلمة الوحيدة ، التي همست بها ؟ .. ام ان الماء قد ردد هذه الكلمات « لقد انتصرت عليّ سنلتقي بعد ساعة واحدة من انبثاق الفجر .. لتكن هذه مشيئتك ؟ » .

ثم هدأ الضجيج ، وانطفأت انوار القصر المضيئة ووقف الشاب الغريب حائراً ، باحثاً عن قارب يمتطيه ، ولم يكن باستطاعتي سوى تقديم قاربي له ، فأسرعنا نشق عباب اليم مسرعين جادين . وكان الشاب الغريب ، طويل القوام ، عريض الكتفين ، يمتد جسمه ويعرض ويطول ، حين تأخذه نوبة من نوبات الحماسة والاندفاع ، وحين تسيطر عليه عاطفة قوية ، او شعور غريب ، تدل ملامح وجهه على الطيبة ، والمغامرة ، والاستعداد للتضحية ، فذقنه الصغيرة تذكرك بألوهية ابطال اليونان ، وعيناه المتلألئتان الصافيتان ، تنحسران عن ظلال غمامة صافية جميلة ، سرعان ما تذوب وتكشف عن نظرات وحشية ، قوية ، اما شعره الاجعد ، الملتف ، فيكشف عن جبين ناصع ، عريض ، لامع ، وكانت ملامحه اجمالا ، ملامح « كلاسيكية » كتلك التي يراها المرء في فترات معينة من حياته ، ثم تغيب عنه ، ويشعر بالحاجة الى رؤيتهـا ثانية ، وألح عليّ وانا اضغط على يده مودعاً ، امام باب قصره ، بزيارته في الصباح الباكر ، وقبل انبثاق الفجر .

وأدخلتُ في الصباح على قصر عظيم ، وقادني الخادم الى شقة جميلة فسيحة ، وجدت نفسي فيها شارد اللب ، مذهول الخاطر ، وقـد استولى علي شعور غريب ، بتلك المفروشات الثمينة ، والرياشات الفاخرة ، ومع اني سمعت كثيراً بثرائه ، وحديث الناس عن قصره الذي لا يضاهيه قصر آخر في اوروبا فلم اكن اعتقد ان معرفتي به ستتيح لي ، رؤية هذا البهاء ، والتمتع بسحر هذا الجو .

كانت الشمس قد برزت من خدرها ، واضواء الغرفة ، مـا

ت مضيئة ، تنعكس على تلك النقوش الايطالية واليونانية والمصرية ، التي تزين جدران الغرفة وسقفها وكانت الستائر الشفافة الفاخرة ، تحضر برفق على انغام موسيقى ، خفيفة ، منخفضة ، كئيبة ، لايسمع مصدرها ، وروائح البخور تتصاعد في جو الغرفة العابق الساحر ، فتمتزج ، مع روائح عطرية اخرى تنتشر في سماء الغرفة ، ساحرة عـابقة ، داعية للنوم ، وكانت اشعة الشمس المنعكسة على زجاج النوافذ وقضبان الحديد تكسبها لوناً قرمزياً فاتحـاً .

كنت انظر مدهوشاً الى تلك الروائع المنبثة في زوايا الغرفة ، والصور المعلقة على جدران الغرفة حـين وصل الى سمعي ، صوت صديقي ، مقهقهاً ، ضاحكاً وهو يدفعني الى مقعد عريض ، فاخر :

-- اراك مدهوشاً،وسط غرفتي هذه ، تأخذك روعة التاثيل ، وسحر الالوان ، ولكن ؟ صفحاً يا سيدي ؟ اعذرني اذا ضحكت عالياً وقهقهت بخشونة هكذا ؟ .. هناك حالات لا يملك المرء نفسه ازاءها، الا بالقهقهة او الموت .. ان تموت ضاحكاً !! هو ان تموت وانت في اوج مجدك وحياتك ؟. ألم يمت « توماس مور » الرجل العظيم ، ضاحكاً ، ساخراً ؟.. ألم تخلف لنـا مدنية « سبارطة » تماثيل تضحك ملء افواهها .. ولكنه لا يحق لي ان اضحك على حسابك انت ؟. انت الوحيد الذي تطأ اقدامه لاول مرة هذه الغرفة ، من كل سكان اوربا ؟..

وانحنيت بأدب شاكراً له معروفه ، وحسن جميـله ، ثم قام فاخذ بيدي وقادني دائراً في ارجاء الغرفة الفسيحة ، حيث رأيت آلاف الصور والتماثيل

— هذه رسوم العهد اليوناني ، وقد انتخبتها بشكل يلائم الفضيلة ، وقدسية هذه الغرفة . وهذه رسوم ، لاولائك الرسامين المحبوبين ، الذين ماتوا ، ولما يتموها بعد ؟.. ماذا تقول في هذه الصورة ؟ ، انها من صنع « جيدون » ؟

قلت متحمساً ، وانا اتأمل بانتباه جمالها المفاجيء :

— هل هي من صنع « جيدون » حقاً ؟ .. كيف امكنك اذن الحصول عليها . انها في الرسم « كفينوس » في النحت .

— ها .. ها .. » قال صديقي ضاحكاً « فينوس .. فينوس الجميلة ذات الرأس الصغير ، والشعر الذهبي ولكن انظر الى « ابولو » ؟ الا تجده جميلا ايضاً ؟ ألم يقل « سقراط » بان المثال يجد نموذجه في كومة من الرخام ؟ .

وكان وهو يتحدث عن تلك النماذج الصغيرة ، يبدو كما لو انه يحاول ان يقضي على رغبات دفينة ، توشك ، ان تظهر ، وكانت نبرات صوته ، قلقة ، مبهمة ، حتى اني اذكر ، انه حين كان يبدأ الحديث ، كان ينسى بسرعة ما يحكيه ، ويقف برهة متسمعاً الى اصوات غريبة ، بعيدة ، كأنه يتوقع سماع اقدام زائر ، ترن في مخيلته فقط .

ولقد اكتشفت فجأة ، بينما كنا ندور معاً ، وقد غاب فكره برهة ، في حلم طويل ، غامض ، ورقة بيضاء مملئة بابيات من الشعر ، وقد اختلطت فيها الكتابة بدموع حديثة العهد ، فتميزت فيها اللغة الانكليزية ، وتميزت فيها لهجة ، لم اقرأ مثلها من قبل اذ انها كانت تنطق بمثل ما ينطق هو الان :

كنتُ كل شيء لي ، يا حبيبي
الجزيرة الخضراء ، على سطح البحر ،
والنبع الدافق في الهيكل المقدس ،
وكانت روحي تبتهج لمرأى الازهار ،
لان كل هذا كان ملكاً لي .

*

ايها الحلم الجميل ، المسرع بالرحيل
لم بعثت في الامل ؟ . الامل الذي يشير اليّ الان ويذهب سريعاً ؟..

اني اسمع صوتاً من المستقبل يناديني « الى الامام » ولكن روحي ترقد معلقة على حطام الماضي .

خرساء . واهنة . شاردة .
لقد انطفأ نور حياتي وآسفاه .
ولن يغرد هزار على قبري ،
لا ولن يزمجر ، نسر ، مقصوص الجناحين .
من اجلي :

*

اما الان ، فساعات حياتي ، غيبوبة راحلة
وكل احلامي ، حيث تنظر عيناك السوداوان ،
وحيث اسمع وقع خطواتك الهامسة ،
على شواطيء السواقي الجميلة .

*

وأرخت هذه الابيات في مدينة « لندن » ثم طمست معالم

الكتابة فيها شيئاً فشيئاً ، ولكنني تذكرت اني سألته في سياق حديثنا ، فيما اذا كان قد قابل « المركيزة دي مونتي » في لندن ، التي اقامت بعد زواجها بضعة سنين هناك ، ولكنه اجابني بانه لم يزر ابداً عاصمة انكلترا ، ولكني استطيع القول بان هذا الغريب الشاب ، كان كما سمعت من افواه الكثيرين ، انكليزي المولد ، والنشأة ، والتربية .

— « هناك صورة واحدة ، لم ترها » قال الشاب ، دون ان يلحظ اكتشافي مأساة حياته ، ثم ازاح الستار جانباً ، عن صورة كاملة طويلة ، « للمركيزة أفروديت » .

ان الفن الانساني يعجز تماماً عن تصوير جمالهـا الرائع ، كما صورته هذه الصورة . انه نفس الوجه الحي الناطق ، يقف امامي الان ، كما وقف في الليلة الماضية ، ولكنه هنا ، تغشاه كآبة حلوة ، كتلك الكآبة التي تجدها ، دمعـاً في الوجوه الجميلة ، والتي هي احدى صفات الجمال فيها . كانت ذراعها البضة اليمنى ، مرتمية فوق صدرها ، بينما تشير اليسرى الى اسفل نحو آنية جميلة . ولم يكن يظهر في الصورة من قدميها الرخاميتين ، سوى قدم فضية واحدة ، تلمس الارض برفق وتمهل ، وكان جو الغرفة وعطورهـا العابقة ، تضاعف من سحر الصورة وتحمـل المرء على التحليق بعيداً ، على اجنحة الجمال ، وتحولت نظراتي فجأة من الصورة البادية امامي ، الى وجه صديقي ، فهمست شفتاي بكلمات « شامبان » الشهيرة :

« لقد نهض واقفاً على قدميه ، كتمثال روماني ، وسوف يقف حتى يجعله الموت رخاماً » .

« تعال . . اقترب » قال اخيراً ، وهو يتجه نحو طاولة كبيرة فاخرة ، زينت بالاواني الفضية والذهبية ويشير الى آنيتين كبيرتين كتلك التي ظهرت في الصورة . « تعال » دعنا نشرب قليلاً من الخمر . دعنا نسكر ؟ . . ان الوقت ما زال باكراً . . ولكن تعال نشرب ؟ » . قال بصوت يشبه نغمة الوتر حين تحسه انامل سريعة . ان الوقت ما زال باكراً ؟ ولكن ما يهم . . دعنا نشرب . دعنا نقدم لتلك الشمس المقدسة ، كؤوسنا المترعة ، دعنا نحتفل بمولدها القريب ؟ . .

وبينما كنت ارفع كأسي الطافحة نخب صحته ، اذ به يجرع عدة كؤوس من الخمر ، دفعة واحدة ، في حركة سريعة ، ثم يتابع حديثه وممسكاً باحدى الاواني الثمينة ، الطافحة بالخمرة « كان كل عملي في الحياة هو ان احلم . ولهذا انشأت لنفسي ، كما ترى امامك ، مأوىً لاحلامي . ولن اجد في « فينيس » ما يضاهيه جمالاً وروعة . هذه الاحلام هي شتات الانسانية ، وتعاستها الدائمة .

ولكني اجد فيها لذتي الكبيرة . اترى كيف يتصاعد البخور من هذه المجامر العربية ، المحترقة كذلك روحي تحترق على مهل وتتبخر شيئاً فشيئاً ، في طريقها الى ارض الاحلام الحقيقية .

وهنا ، سكت فجأة ، واحنى رأسه فوق صدره ، كما لو انه يسمع اصواتاً لا اسمعها او أتبينها ، ثم اصلح من نفسه قليلاً ورفع رأسه وهو يتمتم كلمات اسقف « شيستر » :

انتظرني هناك . . فسوف ان اعجز عن اللحاق بك . . الى الوادي العميق ؟ . .

ثم قام متثاقلاً ، وهو يترنح من اثر الخمرة ، فالقى بنفسه على ديوان عريض .

وسمعت بعد قليل ، خطوات سريعة ، تصعد درجات السلم ، وبنقرات عالية ، متتابعة على البـاب ، وكنت اتوقع حينئذ شيئاً جديداً ، حين ظهر احد خدم « مونتيني » زوج « المركيزة » وصاح بصوت عالٍ ، منفعل دون ان يميز كلامه : « اواه . . يا لسيدتي المسكينة . . لقد ماتت لقد جرعت كأس السم . انها تسممت . أتسمعني ؟ أفروديت الجميلة . سيدتي . . انها ماتت . . »

وقفزت من فوري ، وقد عقدت الدهشة لساني ، واسرعت حائراً ، نحو ذاك الشخص النـائم ، الملقى على الديوان ، واخذت اهزه ، لاوقظه ، ولكـن اطرافه كانت كلها باردة متشاولة ، وعيناه الصافيتان ، غائبتان وسط هالة الموت الرائعة وقد اخذت شفتاه قليلاً . وارتخت ذراعاه في شبه اغفاءة قصيرة .

وحين عدت ثانية الى الطاولة ، وقـع بصري على الآنية الكبيرة ، التي كان ممسكاً بها ، فظهرت لعيني فجأة الحقيقة كلها ولاح السم فيها ، ممزوجاً بالخمرة ، اسود قاتم ، كأنه دواء مرعب .

دمشق — زهير الكزبري



الحياة الادبية في الحجاز

بقلم احمد عبد الجبار

.. غفت الصحراء على مزهر المجد الغابر وكفن القدر اليائس بنيها فلم يُسمع لهم صدى ولم تعل لهم رنة ومشت الايام حافلة باغانيها مرنحة بالحانها وحاضر الحجاز يعيش على ارجوحة ماضيه والادب في الحجاز بيت من رمل تعبث به الانواء .. وقد ودعنا عصوراً واستقبلنا اخرى فما فرق عتمتها ولا بدد يأسها الا اول طلقة اعلنت ثورة العرب على الاتراك قبل تسعة وعشرين عاما وبتلك الطلقة انتفضت الصحراء لتستقبل حياة جديدة زاخرة بالاماني غنية بالاحلام « والنهضة الفكرية الراهنة انما هي ثمرة الجهاد السياسي والتعليمي في عصر الحسين » .

وبعد هجعة قرون طوال صدر كتاب « ادب الحجاز » لجامعه محمد سرور الصبان سنة ١٩٢٥ وبين دفتيه « صفحة فكرية من ادب الناشئة الحجازية نظماً ونثراً » ثم صدر كتاب « المعرض » حاملاً آراء شبابنا في اللغة العربية واساليبها وقبيل بضع سنوات صدر كتابان احدهما باسم « وحي الصحراء » والاخر بعنوان « نفثات من اقلام الشباب الحجازي » وهذه الكتب جميعها كناية عن منتخبات يتوخى جامعوها خدمة الباحثين والمنقبين ويفكر اليوم الشباب هناك باصدار مجموعة اخرى من هذه المجموعات

ان ادب الحجاز على نوعين ادب الحاضرة وادب البادية وهذا الاخير يمثل عندنا شعر العامة وفيه صور جميلة خلابة ويطلقون على الشعر اسم « الحميني » ويسميه النجديون « النبط » وانا لا اود ان يكون هذا البحث عن ادب البداة لانني سأخصص له بحثاً اوفى واجم واكتفي هنا بذكر المثل التالي للشاعر مقيبل الوديرد .

يقول صاحبنا في وصف معركة كثر قتلاها :

والملح مثل الرعد وامست طريح بغير دفّان
ستين منا ومنهم ذبحوا غير الصويب
يا ذيب في ده تعشى من بعد ما كنت طيان
وأعوى ونادي الذياب اللي تعادي في الشعيب
نعمين يا بشر ومعبد حموا مدعوج الاعيان
عيّوا على العار والميلان ما راحت كسيب

ومعنى هذه الابيات هو ان صوت البارود كالرعد وقد بلغ عدد قتلى الفريقين ستين رجلاً عدا المصابين ويخاطب الشاعر الذئب الجائع « الطيان » ويدعوه للاكل هو ورفاقه في الشعب ثم يثني على بشر ومعبد وهما من رجال القبيلة وقد كان لهما الفضل في صيانة النساء من العار وحفظ الاموال « الميلان » التي لم يكسبها الاعداء « ما راحت كسيب »

اما ادب الحاضرة الحجازية فيتبع اصول اللغة ويسير على الطريقة المألوفة :

الشعر : ينقسم شعراؤنا الى ثلاثة اقسام قسم اتبع نهج القدماء وسلك مسلكهم سواء في الموضوع ام الاسلوب وقسم وسط اتخذ افراده مكانة لهم بين القديم والجديد معتمدين على ادب المصريين والسوريين وقسم جمح الى المهجر فاخذ علومه على يد جبران ونعيمه وعريضه وغيرهم واغراض الشعر الحجازي لا تكاد تختلف عن سواه في مصر وسوريا والعراق غير انه اكثر تقيداً باصول المدرسة القديمة من غزل وفخر ورثاء ومديح وهجاء ومواضيعه المبتكرة لا تزال غضة يافعة وللغزل في شعر الحجازيين القسط الوافر وليس ذلك بالغريب فالحجازي من اشد الناس تأثراً بالجمال ومن اكثرهم تحسساً لخفاياه :

صاح باكر الى ارتشاف الثماله ودع الغر سادراً في الجهاله
واطلب الصفو من رياض كستها حسنات الربيع ابهى غلاله
واقصد الدوح في الصباح ودعنا نتغنى بذكر ذات الجلاله
وأفض في الحديث عنها فقلبي دائماً يعشق الجمال وآله

وكأني بهذا الشاعر الحجازي « عمر عرب » ينطق بلسان الشعراء ويعبر عن افئدتهم .. بل انه يعبر عن الحياة نفسها ، ولو عرجت معي الى وادي « ليّه » احدى قرى « الطائف » لسمعت شاعر جلالة الملك احمد ابراهيم الغزاوي يقول :

بأبي من رأيتها فاسترابت نظرتي نحوها فقالت : علامك
قلت صب اصيب بالعين قالت روّع الله من على الحب لامك

انت من « لية » بدارة عوف حيث فرط العفاف يذكي غرامك
ان فيهـا من الظباء لحورا يتنـاجين في المروج مرامك
فاغضض الطرف ان علقت وخالس نظرة الحب واستذم اثامك
لا تغرنك بسمة من كعاب فتوآتي على اغترار حمـامك

والشاعر الحجازي كاف بالمرأة الى حـد التقديس حتى ليمثل وطنه بها ليصدق حبه :

كلمتها فتأوهت ، واسوتها فتضجرت
فرأيت منها منظراً منه الشجون تسعرت
ما الورد بلله الندى كالخد جادته الدموع
هذا ليبهج والهـاً وبذاك تحترق الضلوع
اواه من حرق الهوى
وارحمتاه لمن هوى
سلمى لي الوطن العزيز فلست انكر فضلها
سلمى مقر الوحي ما بلد يطاول بذلها
دفعت بنيها للتقدم فاجتووا غير الجمود
وابوا سوى الموت الاصم ونومهم طي اللحود
فتأوهت وتضجرت
واشقوتاه تضجرت

ثم يسترسل « عبد الوهاب آشي » في وصف هذه المرأة وحالها وحبه لها والمقصود كما قلنـا هو الوطن واذا لاحظنا الاوزان ومراعاة اختيـار الالفاظ وانصتنا للجرس الموسيقي شعرنا بتأثير المدرسة الحديثة في ادب الحجاز وبتأثير المهجريين بصورة خاصة. والغزلون الحجازيون يجعلون المرأة ربة تحوطهـا هالة السحر وهي عندهم « هيكل احلام » و« منبع آمال » .

واكثر الشعر الغزلي في الحجاز يسير على وتيرة تلمس الجمال في مواطنه وتحسس النعيم في اعماقه . . وهذه الآهات المشتعلة تذكيها البيئة المقفرة ويلهبها الحس المرهف ولم تحظ المرأة في جزيرة العرب بتقدير لها كتقدير الشعراء فهي شمسهم وهم لها هالة ولكن ليس الغزل كل ادب الحجاز وليست المرأة شغل بنيه الشاغل فللحيـاة سبلها المتشعبة وللدنيا وحيها المتنوع وللطبيعة اغراؤهـا الملون والشاعر الحجازي كبقية الشعراء تثيره شتى العوامل وتحـدوه مختلف المؤثرات فتسمعه مرة يناجي الليل على لسان محمد سرور الصبان :

يا ليل ما للبدر يـ رح في السما شرقاً وغربا
يبدو فيضحك ساخراً منا وطوراً قد تخبأ
يعلو على متن السحاب يسوقها سرباً فسربا
أتراه يعبث كالوليـ د فليس يخشى بعد عتبا
يا ليل حزنك دائم ادعوك للسلوى فتأبى

وتسمع احمد قنديل يناجي الحياة :

انا فوق ثغرك يا حيـاتي قبلة قد كنت اذ كان ابتسامك صادقا
وعلى ربى روض الطفولة فلة اهتز في كفيك دوماً عابقا
ومن الصفاء او البراءة شعلة انساب في عينيك ضوءاً رائقاً
وعلى بساط اللهو في روق الشباب مشيت فيك فمـا اعرتك لفتتي
حتى اقتحمت مجاهلا ومفاوزاً وسط الطريق
خلابة ظلت كلألاء السراب او البروق
انا بين ماضي المنير وحاضري الداجي وتحت غمـامة المستقبل
متفائل متشائم في فكري الدامي عراك هـائل . . لا ينجلي
أبداً اظل برحلتي كالهائم الداعي اليك بحيرة وتأمل
فلقد رأيتك يا حيـاتي مثل رود ذات قلب عابث قلق ضنين
لا تصطفين سوى محب حام حولك هـائم متعزز لا يستكين
ولثمت فاك فكان خمري اللمى حلو الرحيق
لكن نشدت الطهر فيك فمـا وجدت له عبوق

هكذا الحياة تنتهي عند صاحبنا الى رجس وظلام ولكن هذه الابيات التي هي اقرب منها الى الفلسفة والى التفكير العميق منها الى الشعر العاطفي الذي ما تفتأ ثورته ان تخبو ، ان هي الا خير دليل على تأثير ادب المهجر . أوَ مـا تسمع هذه النداءات المتكررة والصور الفاتنة للحياة كما يبصرها الشاعر ويتحسسها ، هذا هو لون من الشعر المهموس الذي تطمئن له القلوب وهكذا نتلمس ابـداً اضطراد الشعراء الحجازيين في تتبع نهج المدرسة الحديثة سواء في الصور ام الاوزان او الاسلوب ولا غرابة في ذلك فالحجازيون يتلهفون على المؤلفات بانواعها فقد كانت صحافتهم قبل الحرب قـاصرة فلم يكن لديهم سوى مجلة (المنهل) وجريدة (ام القرى) وجريدة (المدينة المنورة) وجريدة (صوت الحجاز) والاولى شهرية اما البقية فتصدر اسبوعياً وقلة المطابع وعدم وجود هيئات منظمة للنشر جعل اكثر « بنات » الافكار في « الخدور » وعندما قل الورق ونفد في هذه الحرب اغلقت المطابع ابوابهـا ولم تبق الا جريدة ام القرى وهي الجريدة الحكومية الرسمية . فلم لا نتلهف هناك لمؤلفات مصر وسوريا ؟ ولم لا تجد اديباً في الحجاز الا ويحدثك بتعمق عن طه حسين وجبران والرافعي والريحاني ؟ كل ذلك لانهم يشعرون بالنقص ويتوقون للكمال . . . ويتجه الشعر الحجازي كما يتجه ادبنـا الحديث عامة الى الذكريات الماضية واحيائها وتغمره سحابة يأس داجية في بعض الاحيان لا يفتأ يبددها شعاع الامل المختمر والمبدأ الثابت والعروبة الصحيحة :

اسفي على وطني العزيز وماله قرم يقوم بامره مترفقُ
كم من مصائب عتد لثبوره وغدا كشلو ذائب يتمزق
ما ناء عنه من المصائب فيلق الا وعن كثب تبدى فيلق
آه ايا وطني المجيد متى ارى شمس الحضارة في الربى تتألق

وهناك في الشعر النزعة الاصلاحية التي يشوبها التمني والرجاء

وكثيراً مـــا تأتي في اسلوب ثوري نافر والنزعة الاصلاحية من الظواهر المميزة للادب الحجازي . وكتاب « خواطر مصرحة » لمحمد حسن عواد افضل دليل على ما اقول فالمواضيع التي تطرق اليها هذا الكاتب تمس العادات والتقاليد والعلماء والمرأة ، وجميع وجوه الحياة الحجازية وقد شرحها باسلوب عاطفي متطرف مما ادى الى مصادرة كتابه ويطول بي الحديث فيما لو تطرقت الى اتجاهات الشعر الحجازي المختلفة .

وليس من قصدي الاطالة وانما غايتي هي ان اعطي القارىء فكرة عامة عن الادب الحاضر في الحجاز آملا ان اقدم بين يديه في فرصة قريبة ان شاء الله درساً تحليلياً لاتجاهات هذا الادب ، ولنلتفت الآن الى النثر .

النثر : ما هو اتجاه النثر الحجازي في غاياته واساليبه ؟

النثر الحجازي متأثر في الاسلوب بالبيئة المحيطة به خاصة والادب العربي عامة فهناك من يحذو حذو العقاد وهناك من يسير على نهج طه حسين والزيات والرافعي وغيرهم ممن نحى منحى جديـــداً في اصول البحث والعرض ، وتغلب على النثر الترسلي عنـــدنا مسحة مصرية لكثرة انتشار مؤلفات المصريين بين شبابنـــا وقد اثر فيه الاسلوب الفكري العلمي عن طريق الترجمة وغاية النثر اليوم تتجه اكثر ما تتجه الى الطريق الاصلاحية فلو اخذت أي صحيفة سيارة قبل الحرب لوجدت ان القسم الاكبر من مقالاتهـــا يرمي الى هذه الناحية من التثقيف والمواضيع متشعبة في العناوين غير انها تسير الى المهيع ذاته والمعين نفسه واليك الامثال : « في الزواج » « في سبيل الكتاب » « مصائب الزواج » « مصائب التقاليـــد » « تشجيع معروضات دار الايتام » وغير ذلك . .

ولكن النثر الحجازي لم ينحصر ضمن نطاق هـــذه الدائرة الاصلاحية فحسب بل تخطاها الى مواضيع ادبية فنية وبحوث علمية جيدة ولقد سلك بعض الادباء طريقة الشعر النثري فاجادوا فيه وابدعوا . . واعتقد ان زعيم الشعراء النثريين هو « عزيز ضيا » . فانك لتجد عنده روحـــاً من نثر المهجر الذي يسميه محمد مندور « النثر المهموس » ولا يخفي صديقي عزيز ضيا ان استاذه هو جبران خليل جبران ولكن صاحبي في ابحـــاثه العلمية يقلد الدكتور طه حسين وانا لا ادري كيف جمع بين الاثنين !!.

واليك ايها القارىء طرفاً من قطعة نثرية لمحمد علي رضا يقول تحت عنوان « استيقظي يا نفس » :

« استيقظي يا نفس ببقايا احلام الليل الجميلة وتلذذي بها ، بين هديل الحمام ، وزقزقة العصافير ، قبل ان يدنو منك اليأس قارعـــاً طبوله بين ضجيج العالم هازئاً باحلام الليل .

استيقظي يـــا نفس فالفجر مولود جديد في كل يوم تلده السكينة وتلبسه ثوباً من نور ليستمتع البائسون والمنكوبون بمنظره الهادىء .

استيقظي يا نفس ! وانظري الاحلام تركع امام هذا المولود الجديد ثم تتلاشى في الاثير !

وعندما يسدل الليل استاره المخيفة تنسكب مع قطرات الندى !. . وتتسرب الى اعماق النفوس !. .

هذه اللهفة الزائدة ، والنداء المتكرر همـــا ما يرتكز عليه النثر الشعري في الحجاز والنثر الحجازي بصورة عامة عليه مسحة من اساليب النثر القديم فتستطيع ان تلمس فيه الاسلوب القرآني والترسل الجاحظي والاسلوب المسجع والديواني .

اما القصة الحجازية فلا تزال في المهد . والمسرحية لما تولد بعد .

هذا ويطول بنا الحديث فيما لو مثلت الك على ما القيه من آراء واصدره من احكام وليس القصـــد كما اخبرتك الا ان اعطيك صورة عامة عن هذا الادب الذي لا يعرف اكثر الناس عنه شيئاً .

ان تلك الصحراء التي كانت القبس للعالم قبل ثلاثة عشر قرناً قد انتفضت اليوم من سباتهـــا وهي عازمة على ان تكون قبساً جديداً لهذا العالم الجديد !

واني اقول كما قال ابن عباس : « الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه ، وعليكم بشعر الحجاز !

الرياض　　　　احمد عبد الجبار

الاشتراك في الاديب لسنة ١٩٤٥

– آخر موعد لقبول طلبات الاشتراك في سنة الاديب الرابعة (١٩٤٥) هو ٢٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٤ وان نتمكن من تلبية الطلبات المتأخرة بعد هذا الموعد لان كمية النسخ ، على كثرتها ، محدودة بسبب ازمة الورق .

– لا تجدد الادارة اشتراكات لا يطلب اصحابها تجديدها .

– كل طلب للاشتراك غير مرفق بالبدل يهمل .

– قيمة الاشتراك في سوريا ولبنان ١٢ ليرة ل . س . ترسل حوالة بريدية و ١٥٠ قرشاً مصرياً في الخارج ترسل حوالة على احد مصارف بيروت (وكل حوالة تردنا من الخارج على غير ما ذكرنا تهمل) .



قدر يلهو

رواية للدكتور شكيب الجابري – منشورات دار اليقظة – دمشق

الجابري جسد نهم ، وروح ظمأى ،
وشعور يحترق ويشتعل !! . . .

من شاء ان يتفهم رواية (قدر يلهو) تفهماً صحيحاً ، يجب ان يعرف معرفة يقين ، مؤلفها الدكتور شكيب الجابري . وليس التعرف على الروائي الكبير بالامر العسير ، فاذا شئت ، فاطلبه في الطابق الثالث من سراي المرجه يدخلك آذن على احسن غرف الموظفين اناقة حيث يتصدر الزاوية موظف شاب تسميه الدولة مدير المطبوعات والاذاعة في الجمهورية السورية ، وما هو بالحق وعلى الضبط ، سوى مؤلف (قدر يلهو) و (نهم) فاذا استقبلك على الباب ابتسامة تتيه باذيال العنجهية ، فارجو ان تدرك انها عنجهية الاديب المعتز بادبه ، لا ابن العائلة الجابرية الفخور بحسبه ونسبه . واذا كان لا بد من مراعاة الدقة ، فلنقل انها عنجهية جرى فيها من دم الادب ثلاثة اضعاف ما جرى فيها من دم الحسب والنسب .

شاب ما مشى بعد الثلاثين سوى خطوتين او ثلاث ، متين الصدر والكتفين على جسم مربوع . ولكن الوجه وجه طفل اكثر منه وجه شاب مكتمل الرجولة . وقد لاحظ سيماء الطفولة في وجه الدكتور الجابري كثيرون فقالت لي آنسة اديبة تأملت كثيراً في حكم (قدر يلهو) ومعانيه ولما تشبع : قد اصدق ان هذا الفتى الناعم مدير المطبوعات ، ولكن اكاد لا اصدق الناس وعيني عندما قيل لي : هذا هو مؤلف (نهم) و (قدر يلهو) ! : لقد خدعها خيالها . ولقد طالما خدع القراء خيالهم وهم يقرأون في كتب مؤلفيهم .

*

قلت ان معرفة الدكتور الجابري معرفة يقين ، امر ضروري لادراك كنه تلك النبضات القوية الصادرة عن قلوب كبيرة في (قدر يلهو) . فاذا ما حدثك في بعض جلسات عن باريس وبرلين وعن بيروت وحلب ودمشق ، وعن آماله واحلامه وامانيه ، واذا ما علمت ان الدكتور في العلوم لم يجب قط في شخص الفتى ، الكاتب الاديب ، ومادية العلم لم تطغ على روحانية الفكر ، والتربية البيتية لم تنل قط من التربية الروحية الادبية ، بل هما ممتازجتان متفاعلتان ، واذا ما سألته عن (تاريخ جرح) واضح الاثر فوق عينه اليمنى ناحية الانف ، فحدثك حديثاً سياسياً وطنياً لاهثاً وقال لك : تلقيت الرصاصة ، وما كاد الدم يحجب عيني حتى قلت : الكاتب الجابري قد يصبح اعور ! : وفي ساعة من ساعات الهول والاحتدام واليأس والتغلب على اليأس ، قلت لنفسي : كم عمري ! ، واجبت على الفور : سبعة وعشرون عاماً ! : عمر كاف . . . لقد شبعت ولست اطمع من الحياة في مزيد ! : ونهضت نشيطاً قوياً كأن يد الرحمن قد مسحت وجعي وثبتت روعي . ثم نجوت وسلم الله . . . ! اذا ما علمت هذا او اكثر ، انجلت لك في (قدر يلهو) صفحات رائعة من الفن والحياة .

سبعة وعشرون عاماً . . . عمر كاف !! انك لتلمح في هذا القول الصادق ، نبعاً من ينابيع تفكير الجابري ، الشاب الممتلىء حماسة . السياسي المحتدم جرأة ، التلميذ ، الذي ام ديار الغرب ، فتعلم وحصل ، رعرف ، واكل ونهم ، وشبع واكتفى . وان من ينشر كتاب (قدر يلهو) بين يديه ، ليجد فيه الحكمة البليغة ، والتحليل العميق ، والوصف الصادر عن ادراك ، والقول الناشىء في احضان التجربة . وقد تعجب ان تقرأ في (قدر يلهو) ان الشاب (علاء) يجتمع بايلزا الفتاة التي احبها كثيراً بعد مضي اثني عشر عاماً ، فيجهلها . . . ويجهلها رغم ان في حديثها — ان لم يكن في رواسب وجهها المعذب — وفي روحها ما هو جدير بان يوقظ مخيلة الشاب الهاجعة . فلكي تفهم سر هذا الهجوع يجب ان يحدثك الجابري بنفسه ، حديث ورق . . . او حديث رأس لرأس !

وبعد فقد قيل ان الجابري في (نهم) اقوى فناً ولغة منه في (قدر يلهو) . وهو قول يبدو صحيحاً للنظرة الاولى لم اقرأ كل (نهم) بل جرعت منه بعض جرعة بعدما عرفت موضوعه ، وقد تكفي الجرعة الواحدة من زجاجة نبيذ ، كما يقول ناقد فرنسي ، لتذوق طعمها ، كذلك قد يكفي لمعرفة كتاب قراءة صفحة واحدة منه . فالجابري في (نهم) وهي رواية غرائز وشهوات وفوران وانطفاء ، قوي يصطنع قوة الى جانب قوته . و في (قدر

يلهو) تبدو موهبته الفنية بلا طلاء ، وبلا محاولات تفوق . فهو قوي طبعاً لا صنعاً . ويخيل الي ان الجابري في (نهم) عامل كادح يريد ان يبهر القارىء ويثير اعجابه وعجبه ، ولا شيء من هذا على الغالب في (قدر يلهو) . ثم ان من دلائل الاصطناع الفني في (نهم) لجوء مؤلفه الى وضع كلمات عربية قاموسية في سطوره يشعر المتأمل فيها انها وضعت بالانتقاء وطول التفتيش ولم ترد عفواً ، حتى ليحتاج القارىء المتوسط او فوق الوسط ، معها الى قاموس ، ويكاد يخلو قدر يلهو من هذا النوع من الكدح ! وان كان موضوع (نهم) تلظي جسد واحتراق اعصاب ، فموضوع قدر يلهو وان كان لا يخلو من رائحة الجسد النهم ، حافل بالمعاني السامية والاغراض النبيلة . واست اقصد الى القول انني ارجح ان يكون الكتاب مدرسة اخلاق وفضائل ، بل ارمي من هذه المقارنة الى تمييز موقف المؤلف في (قدر يلهو) حيث يغدو اوسع افقـاً ، واشمل نظراً ، واعمق شعوراً وانسانية ! على ان ما في (نهم) من صفحات فاقعة اللون ، صاعقية التأثير ، قوية ، محكمة ، مسددة . لا يزيدني الا قناعة بارجحية (قدر يلهو) لبساطة حركة الانسياب فيها . وهو رأي اتمسك به كل التمسك ، واعمل به . وافضل من الكتاب من يعمل به . فالعمل الفني ليس مدرسة اخـلاق كما قلت ، كما انه ليس مدرسة لغة ، ومفردات .

اما موضوع قدر يلهو فسيرة حيـاة شاب عربي بين الغرب والشرق . وسيرة حب امرأة بين شتى النساء . ايلزا الجميلة الوضيعة يلتقطها علاء الدين على هامش احد الشوارع ضالة متسكعة ، فقيرة جائعة ، فيعيش معها ، ثم يعلم انها ستضع منه غلاماً . ويغادر علاء اوربا عائداً الى بلاده فيلقى بعد اثني عشر عاماً احدى الراقصات الاجنبيات في بيروت وتدعى ايلسلكا . وما هي الا بضع جولات حتى يبدو ان ايلسكا الراقصة هي ايلزا الصاحبة القديمة ، ولكن علاء لا يدرك هذه الحقيقة الا في الدقيقة الاخيرة من حياة ايلسكا المعذبة ، التي تفضي بسرها ، وفي الصفحة الاخيرة من قدر يلهو .

وبين مراحل هذا الشوط البعيد يجول المؤلف الفارس جولات معلمات ، في اعمـاق النفس البشرية . فزبدة الرواية ليست في حوادثها وغريب مصادفاتها وعجيب اقدارهـا ، بل في ما وراء ذلك من قلوب كبيرة ، ونفوس طيبة ، من لهو عارم ، وجد صارم ، من مرح يرقص حتى يدمى ، ومن حزن يتقشف حتى يغدو سعادة علوية . ففي هذا المضطرب الواسع بين قلبين محبين ، قلب علاء العربي ، وقلب ايلزا العظيمة الوفاء نلمس لوناً جديـداً من الوان الانشاء العربي ، والتفكير العربي ، والانسانية العربية .

فقد ظفر علاء بالفتاة المشردة البائسة بينما كان ينتقل من حب الى حب ومن زهرة الى زهرة « فجنى منها الجنية الحلوة التي كانت تبتغيها غريزته لدى كل النساء .. وما عمد الى ذلك عن رغبة ملحة ولا عن قلة بل مد يده اليهـا كما يرفع الشبعان يده الى خوخة يصادفها في طريقه ثم يدفع بها الى فمه دون ان يولي عمله اهتماماً » . ولك ان تتصور من وراء هذا الوصف الطريف نفس الفتى الطالب الذي « لم تبق فيه نشوة النصر وجنون الصبا متسعاً لفكرة جدية او لعاطفة دائمة » !!

على ان ايلزا التي لجأت الى كنف الفتى الغريب لتأكل وتنقذ نفسها من هلاك الجوع المحتوم ، وما كان علاء في نظرها سوى واحد من الوف الرجال الذين يشترون باللقمة المنقذة عفاف العذارى البائسات . فقد بدأت تجري في عروقها دماء جديدة غير دماء فتاة شبعت بثمن العفاف .

وما هي الا ايام حتى شبع الفتى وشبعت الفتاة ، كل بمـا يشتهي ويبتغي ، فانزاحت حوائل الاقدار التي جمعتها لتجعلها وجهاً لوجه . الفتى الفاتر العابث يفتش عن زهرة يمتصهـا من جديد ، والفتاة التي قضت وطرها بوجود اكل وسقف ، وعمل .. ! فماذا بعد ؟ هل يفترقان ؟! كلا !! . ليس للقدر بعد ان جمعها اي يد في تفريقها . على انها وقد وضعا نفسيهما على مفترق الطرق ليذهب كل في سبيله ، يجتمع قلباهما اجتماعاً لافراق بعده . لقد ماتت فيها الجيفة التي تباع . وغدت روحاً نبيلاً ، وعرفاناً جميلاً . ومات فيه الذئب الدائب ابداً وراء فريسته ، لتند في عواطفه شمائل العروبة الكريمة ، وفضائل الانسانية السامية . واني بعد اليوم لواجد لذة كبرى في اكتشاف ما كان يجهله من طباعها وميولها ودقائق ذكائها المتوقد الاخاذ .

واما هي ، هي التي تركت نفسهـا بين مخالب الفتى الماجن خانعة قانعة ذليلة ، فقد سما بها حبها الكبير ، لتغدو بعد شهور اطهر من الملائكة . فها هو الفتى يغادر برلين على عجل بعد انهاء دروسه وها هي الفتـاة التي لا تطمع بعد منه بسوى ان تودعه برسالة . تبعث اليه في المحطة بكلماتها الاخيرة . وانها لرسالة يختتم بها المؤلف الفصل الاول ، ويتوّج ببلاغتهـا هامة ابداعه الفني ، وشعوره الانساني .

ها هي ايلزا تنادي علاء من بعيد في هذه الرسالة البليغة قائلة : علاء ! ايها الاحسان الذي انتشلني من ألم الجوع فأوقعني بما

هو اشد من الجوع مضاً !! سأقص عليك من حديث قلبي بما لم احدثك بمثله من قبل !! . . »

« . . . لقد احببتك . . . احببتك لنفسك قبل ان احبك لاحسانك ! احببتك حباً صامتاً ربيته في سويداء قلبي ، واشفقت ان اظهر منه ولو قبساً ضئيلاً خشية ان يخونني جلدي فلا اصبر على البوح به كله فيخيفك جنونه فتطردني . . !! واليوم فاني ابدي لك حبي غير خائفة منك صداً ولا هزؤاً .

ثم ها هي ابازا التي سمت :

« اني لا اعتقد ان المرأة المعوزة قريبة من الشر طالما هي طليقة تحيا بنفسها ولنفسها . اما المرأة التي وقفت حياتها على انسان تحبه وتحترمه فلا خوف عليها من الرذيلة ولو دارت بخطواتها حبائل الضنك او مزقتها انياب الفاقة !!

ثم تحدثك عن طفل مقبل :

« . . ها هو ذا يركل حشاي بقدميه الصغيرتين المرحتين . . ! واشوقي الى تلك الساعة ، اقبل فيها قدميه الحبيبتين فيخيل الي اني اقبل قدميك . »

يا علاء . . . يا شمسي المحسنة الغاربة !!

وليس (قدر ياهو) بالرواية التي يمكن ان تصورها بضع ريش تسل من جناحيها . وليست بعض الاستشهادات والمقتطفات لتدلنا على سر الجمال المنساب في مجموع الرواية . انها ابداع فني ممتاز سجل بها مؤلفها حدثاً جديداً في تاريخ الادب العربي الحديث .

دمشق — فؤاد الشائب

تعريف القدماء بأبي العلاء

للجنة من وزارة المعارف المصرية — ٦٩٥ صفحة — مطبعة دار الكتب — القاهرة

هذا سفر اراده جامعوه تذييلاً لبحث المعري في حياته وافكاره ولقد جاء شرعاً مع ارادتهم ، وقريباً من الوفاء بالغاية التي عملوا برغبتها .

وفائدته تتعدى الباحث والدارس الى المطلع والمطالع ، فهو يهمهم جميعاً وتتصل بهم اسبابه .

والذي يبعث على التقدير ، ذلك الجانب من التحقيق الذي وفرته حيال النصوص . ولا سيما في هذه الظروف التي كثرت فيها نماذج النشر الخاطيء ، ومن شخصيات لها خطرها الادبي ايضاً ولهذا دون ريب اثر ذريع في اعتياد الخطأ وترويجه .

وانا اذكر مثلاً من هذا الخطأ الجسيم ، تنبيهاً للقاريء العربي كي يحذر ، وللناشر العربي كي يتمهل ويتبصر . . فقد سقطت يوماً على رسالة الغفران بتحقيقات وشروح الاستاذ كامل كيلاني ، فاذا به يعلق على قول المعري « واباريق خلقت من الزبرجد ، لو رآها ابو زيد لعلم انه ما تشبث بخير ، وهزيء بقوله :

« واباريق مثل اعناق طير الماء قد جيب فوقهن خنيف » .

بما نصه «لعله يعني ابا زيد الانصاري مؤلف كتاب النوادر الخ وساق ترجمة واسعة له ج ١ ص ٤٧ و٤٨ رغم ما هو معروف مشهور من ان ابا زيد الانصاري نحوي لم يتعاط الشعر ولا عاناه ، وانما البيت لابي زبيد الطائي حرملة بن المنذر معمر ادرك الجاهلية راجعه في الاغاني ومعجم الادباء ، على ما نص عليه ابن منظور في لسان العرب مادة (خنف) . . وعجيب ان يقع هذا التصحيف نفسه ، في النسخة التي وقف على طبعها وتصحيحها العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي ، وفي كتاب اوج التحري الذي نوهت به في عدد ماض من الاديب .

لذا نغتبط ونغتبط كثيراً بظهور هذا السفر المحقق ، ومن الخير ان نشير الى مميزاته :

(١) الدقة في تطبيق المنهج التاريخي الحديث ، فهو يفي باولى المراحل التاريخية التي كان قدامى المحدثين يسمونها تقميشاً ، ويسميها المؤرخون المحدثون تجميعاً ، اي جمع كل الوثائق التي تدخل في حدود الموضوع دون ما نظر الى صحتها .

(٢) التنبيهات الهامة التي اشتملت عليها الهوامش ، ومن الحق انها غنية خصبة فقد حققت طائفة من الاعلام التي هي شبه مغمورة ومجهولة احياناً .

(٣) النص على الابيات المعزوة للمعري في كتب التراجم وهي فائتة من دواوينه المتداولة .

(٤) الفهارس المفصلة الوافية .

ورغم ما امتاز به هذا السفر ، فانه لم يخل من سقطات في تقديرنا ، ونحن ننبه على بعضها المندرج في طائفة من الصفحات ، اذ لا يسعنا في هذه الالمامة الوفاء بسائرها .

ورد في ص ٣ س ٨ (وهو ممن اقيته)، هكذا اثبتت اللجنة اعتماداً على الوافي بالوفيات ونكت الهميان للصفدي والانصاف لابن العديم ، وصوابها (وهو من لقيته) كما في ياقوت وتتمة اليتيمة دون ريب ، بدليل قوله بعد (قديماً وحديثاً مدة ثلاثين سنة) . اذ يريد الثعالبي بها افادة انه مختص به منقطع اليه ، لا ممن صادفه

عرضاً ، وعلى التصحيح الذي اثبتته اللجنة يتنافى طرفا الجملة .

وفي ص ٤ س ٦ (احلى كتاب) اعـتماداً على معجم الادباء لياقوت ، والصواب السائغ (احلى كتاب) كما في اوج التحري للبديعي ص ٤ على ما يقتضيه المقام وعلى ما ألف في الاستعمال ، فقد ورد على لسان الوليد بن المغـيرة في وصف القرآن « ان عليه لحلاوة ، وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمورق» .

وفي ص ٤ س ٨ (فتحفظتها) واللائق (فحفظتها) كما في اوج التحري ص ٤ ، فان التحفظ اي الحفظ شيئاً بعد شيء يقتضي العسر والمشقة ، وهي ابيات ثلاثة لا تستدعيها . وفي ترجيحنا انها مصحفة عن كلمة (فتحفضتها) بالضاد لا بالظاء ، من حفض بمعنى حمل العلم بالشيء في نفسه كما في القاموس للفيروز آبادي .

وفي ص ٨ س ٩ (الحيانة) وصوابهـا (الصيانة) انظر الاديب ج ١١ من السنة الثالثة .. وفي ص ٢٠ س ١٤ (شكوك (تعتلج) وصوابها (سكوك تعتلج) ، جمع سك بمعنى فساد الطبع ولؤمه .

وفي ص ٢١ س ٩ (فخت القمر) علقت اللجنة : في الاصلين قحة القمر تحريف صوابه ما اثبتناه ، وما في الاصلين هو الصواب فان القمر في تمه تضاف اليه القحة كناية عن الابدار ، وقد كثرت في استعمالاتهم .. وفي ص ٢٥ س ٩ (وبعثت انت لاهلهـا) وصوابه (وبعثت انت لهلكها) كي يتوافق الصدر والعجز .

وفي ص ٣٨ س ١١ (منذ سنة اربعمائة) وصوابه (نيفسنة اربعمائة) بفتح النون وسكون الياء دون تشديد ، وهذا التصحيف هو اساس الخطـأ الشائع في تاريخ رحلة المعري الى بغداد انظر الاديب ج ١١ من السنة الثالثة .. وفي ص ٣٨ س ١٤ (وايادي بيضاء) علقت اللجنة : كذا في الاصل بالمد اي بعبارة التبرئة التي تفيد انه خلاف الصواب ، بينما نص النحويون على ان جمع ما لا يعقل يعامل معاملة المفرد في وصفه وفعله راجـع حاشية السجاعي على الالفية في شرح الخطبة عند قول الناظم (والله يقضي بهبـات وافرة) ص ٤ .

وفي ص ٤٠ س ٨ (والكتاب المعروف بالفصول) لمـا ان اللجنة درجت على التصحيح في الصلب ، كان ضرورياً ان تثبت اسم الكتاب كما في ياقوت (مختلف الفصول) ، والا فالفصول سبق الكلام عليه في الثبت المعزو للمعري . واذا اخذنا حلية الكتاب كما في ياقوت حيث قال (والكتاب المعروف بتضمين الآي وهو كتاب مختلف الفصول) ، ثم درسنا كتاب الفصول والغايات نجد انه لا يشتمل على تضمين الآي ، اذن فالمعري في مختلف الفصول ابتدع ذلك المنهج ، الذي جرى نسقه ابن الجوزي في كتابه (المدهش) وحاكاه فيه محاكاة .

وفي ص ٤٧ س ١٤ (ورسالة الغرض) علقت اللجنة : كذا وردت في الاصل بالغين المفتوحة والراء الساكنة وفي ياقوت الفرض بالفاء وفي كشف الظنون العروض . والارجح ليس الغرض ولا الفرض ولا العروض ، وانما هو (رسالة الفرط) بفتح الفاء والراء اي الطفل الذي يموت ويفترط طفلا ، وورد في الحديث انه شفيع من النار . ويشهد لما نقول مـا ورد في ص ٥٠ من السفر نفسه حكاية عن القفطي ، انه رأى رسالة الغفران ورسالة التعزية الى بعض الحلبيين في ولد له مات ، مما يغلب ان تكون هي اياها الخ ..

هذه هنات هينات ، لا تقلل ابداً من اكبار الجهد المبذول فيه ، ونتمنى استمراره ومواصلته .

عبدالله العلايلي

والمعتصماه

مسرحيات للاستاذ عبد الوهاب ابو السعود – ١٥٨ صفحة من منشورات دار اليقظة العربية بدمشق

كبير ذلك الجهد الذي تمد به دار اليقظة فهي لا تفتأ تواصل منشوراتها القيمة في حقول شتى ، وهذه المجموعة المسرحية تنزل بين خيار ما اخرجت ، فهي تحوي عملا فنياً وآخر قومياً . وبحوادث موفقة في التعبير عن النبل العربي وسط الدسائس ، وراسمة لطبيعة الشرف العربي الحامي بكبرياء ، ولعل العرب في حاضرهم اشد ما يكونون حاجة الى مثل هذا الاحياء .

لغز ابي العلاء

للدكتور محمد يحيي الهاشمي – ٤٨ صفحة – من سلسلة كتب المرتفع بحلب

هو كتيب صغير ولكنه يحفل بنوافذ جديدة ، كلها تطل على آفاق كانت مجهولة في دنيـا ابي العلاء . والمؤلف درس المعري وحاول فهمه ، ولقد استقام له شيء منه يدعو الى الاعجاب . فهو يقيس التطور في عالم الفكر بمثله في عالم العضويات ، ويسير في تطبيقه على المعري تطبيقاً جيداً ص ٣ – ١٨ ويقارن بين المعري وكانت مقارنة فيها توفيق احياناً وفيها دقة ايضاً ، ولا تفوته عرضاً المقارنة بينه وبين كل من نيتشه وشبنهاور وهي لا تخلو من طرافة ص١٩ – ٣٤ . وليس يتسع المجال لتناول نواحي كتابه بالنقد ، وانما نكتفي بها كلمة انصاف لجهد لم يقع دون غايته

الغرر التاريخية في الاسرة اليازجية

للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف – ١٢٨ صفحة – مطبعة الرهبانية المخلصية صيدا

الكتاب يقع في جزئين كما ذكر مؤلفه والذي بين ايدينا هو الجزء الاول ولقد اطاف به مؤلفه على المشايخ اليازجيين وحفل باخبار حياتهم وآثار افكارهم ولا بدع فالمؤلف – كما عرفناه – مؤرخ علامة تتساءل في جنبه – وانت على حق – عما فاته وند عنه : والكتاب بعد ذلك احياء لنزعة باتت دارسة رغم ضرورتها وفائدتها، ورغم انها كانت فرعاً مهماً من فروع التاريخ عند مؤرخي القدماء .

علي ، امير بيروت

للاستاذ فريد مبارك – ٧٢صفحة – من سلسلة المجاني لدار النهضة بيروت

هو بين التاريخ والقصة يلقي على جانب من ماضي هذا الاقليم العربي، ضوءاً حبيباً . ففيه حوادث وعادات وتقاليد واعتبارات، من الواجب ان يعرفها العرب اليوم، عن ماض قد عاشه آباؤهم بالامس .

قالت لي السمراء

مجموعة شعريةللاستاذ نزار قباني – ٩٤ صفحة – دمشق

هو ديوان اراده ناظمه جديداً في طريقته واغراضه وحلته ، ولقد وفق الى جديده وكان قيماً في بعض جوانبه ، وفي بعض النفاثاته الشعرية التي اذا تأتى لها ان تتركز دائبة الايماض والاشراق ، مديدة التنور تتحف به شاعراً خصباً زكي لالهام . ولقد كفانا الدكتور منير العجلاني مهمة درسه بمقدمته ، التي لم تبعد عنه اغراقاً وان حاولته احياناً .

ابعاد

للاستاذ انطوان كرم – ١١٦ – صفحة – من سلسلة « فن » لدار النهضة بيروت

دار النهضة في بيروت مثل دار اليقظة في دمشق ، كلتاهما تفرغان نشاطاً في منشوراتدورية تمد العربية بفوائد ، بعضها سريع وبعضها ثابت الاثر .

وهذا الكتاب الذي نعرف به ثمرة طيبة من ثمرات دارالنهضة فقد اشتمل على مقدمة جعلها مؤلفه محاولة في فهم الادب وتحديده . وكان في بحثه ماتعاً لانه يتحسس بالانفعال الفني ويحسن التعبيرعنه .

والمؤلف بعد ان تساءل عن الادب وبحثه ، وبعد ان تساءل عن الجمال وبحثه ايضاً ، انتقل الى الادب في لبنان فاعطى احكاماً وتعميمات ليست تجد واقعها ، وان وجدت فتنتها . وان نسيجاً تمده خيوط الفتنة ، يبدو متمزقاً في هبواتها .

ويطالعك بعد المقدمة بنموذجات من ادبه ، تشبه كثيراً الادب المكعب الذي يعتاص عليك تلمسه ، او تتلمسه فتقع يدك منه على مثل كرة المطاط ، تنضغط وانما تنضغط على هواء . واحياناً يجد سبيله الى التجوي (اي الارتفاع في الجو) ، ولكنه يعود فيلهث او ينقطع . واتمنى على الاستاذ – ولديه الاسباب – ان يكثر من مثل (زاوية في الفردوس) ص ٨٠ ، هذه القطعة البالغة اقصى حسنها ومتعتها .

والمؤلف مولع باختراع التصريفات المرسلة دون سماع ، ولعله حسن فقد قرر كثير منهم الرضي الاسترابادي القياس فيها ، ولكن ارتجالها دون قاعدة يورث الفوضى .

قناة السويس

للاستاذ احمد رشدي صالح – ٣٢ صفحة – لجنة نشر الثقافة القاهرة

تواصل لجنة نشر الثقافة الحديثة في القاهرة نشر سلسلة كتب تحت عنوان « مشاكلنا » . والكتاب الذي نحن بصدده ، يتحدث عن قضية قناة السويس في تطورها التاريخي واهميتها الاقتصادية واثرها السياسي ، حديثاً مفصلاً مبنياً على تحقيق علمي صحيح .

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

دمشق ١ تشرين الثاني ١٩٤٤ – نوقش البيان الوزاري الذي قدمته وزارة فارس بك الخوري ، في مجلس النواب السوري . ثم نالت الثقة باجماع الاصوات .

لندن – بلغت القوات البريطانية في جنوب هولندا ضفة نهر « ماس »

لندن – اخلى الالمان ميناء سالونيك في اليونان . وسقوط سالونيك معناه تحرير اليونان بكاملهـا من الالمان ما عدا بعض المناطق الواقعة على حدود البانيا .

لندن – بدأ مؤتمر الطيران الدولي اعماله في شيكاغو للبحث في تنظيم شؤون الطيران بعد الحرب .

لندن ٣ – تمكنت قوات المارشال تيتو في يوغوسلافيـا من تطهير مرفأ زارا من بقايا الالمان، بعد قتال دام ثلاثة ايام . وهذا المرفأ الواقع على شاطئ دلماسيا ذو اهمية كبرى لان المسافة التي تفصله عن مرفأ فيومي الايطالي لا تزيد عن تسعين ميلاً .

لندن – اليوم تجري الانتخابات لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة .

القاهرة – هاجم رجلان مسلحان يرتديان الثياب الاوربية (تبين فيما بعد انهما يهوديان) اللورد موين وزير الدولة البريطاني المقيم في الشرق الاوسط امام داره في القاهرة وأطلقا عليه الرصاص . وقد مات متأثراً من جراحه بعد ساعتين .

لندن – تقدمت القوات الحليفة في جزيرة ولخرين فاصبحت اكثر اجزائها في ايديهم .

لندن ٨ – دلت النتائج التي وردت ان الرئيس روزفلت فـاز على منافسه المستر ديوي لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة .

لندن ٩ – اتمت جيوش المارشال مونتغمري تطهير الضفة الجنوبية من نهر « ماس » في هولندا واصبحت بذلك تسيطر على جنوب غربي هولندا من مدينة « هرتوغنبوس » حتى بحر الشمال .

طهران ١٠ – استقالت حكومة محمد سعيد الايرانية بعد ان اشتدت الازمة بينها وبين الروس بشأن امتيازات آبار البترول .

لندن ١١ – توجه الرئيس تشرشل والمستر ايدن الى باريس. وهذه اول زيارة للمستر تشرشل الى باريس بعد ان غادرها منذ اربع سنوات ونصف السنة .

لندن – قدمت الوزارة الفنلندية استقالتها .

لندن – دخلت القوات اليابانية شوارع كويلن في الصين .

القاهرة ١٣ – وقع الملك فاروق الاول مرسوماً يقضي بحل البرلمان المصري .

واشنطن ١٤ – اعلن رسمياً ان الاصابات التي مني بهـا الجنود الاميركيون منذ بداية الحرب الى الان ٥٠٩ آلاف اصابة منها ١١٣ الفاً و ٤١٠ قتلى .

لندن ١٥ – اعترفت الحكومة الصينية باستقلال سوريا ولبنان .

باريس – غادر المستر تشرشل باريس عائداً الى لندن .

دمشق ١٦ – قـدم السيد وادسورث اوراق اعتماده معتمداً فوق العادة ومفوضاً مطلق الصلاحية للولايات المتحدة لدى الحكومة السورية الى رئيس الجمهورية السورية .

لندن ١٧ – صرح المستر تشرشل في تأبينه للورد موين بان كثيرين، وهو في طليعتهم، سوف يضطرون الى اعادة النظر في الخطط التي رسموها لليهود والتي مشوا عليها وناصروها .

بيروت – قدم السيد وادسورث وزير الولايات المتحدة في سوريا ولبنان اوراق اعتماده الى رئيس الجمهورية اللبنانية .

لندن ٢٠ – احرزت جيوش الحلفاء ثلاثة انتصارات كبرى في الغرب فقد احتل الجيش البريطاني الثامن مدينة « غيلكيرشن » الالمانية، وطوق الجيش الثالث مدينة متز من جميع الجهات ، واجتاز الجيش الفرنسي الاول ثغرة بلفور ودخوله منطقة « الالزاس » الفرنسية لاول مرة في هـذه الحرب .

طهران ٢٢ – عهد شاه ايران الى السيد بايات الوزير بلا وزارة في الوزارة الايرانية المستقيلة بتأليف الوزارة الجديدة .

باريس ٢٣ – تم تحرير متز ، ومولهوز وسافرن ، وهي ثلاث مدن فرنسية . وقد حررها الجيش الفرنسي .

روما – احتل الجيش الثامن مدينة كاستليوني وبلغ نهر كوسينا وراء المدينة .

اثينا – قررت قوات المقاومة في اليونان تسليم اسلحتها ضمن المهلة التي حددتها له حكومة باباندريو وذلك رغبة منهـا في توحيد كلمة اليونانيين، وسينشأ جيش يوناني جديد . وهكذا انتهت الازمة اليونانية .

باريس – افتتحت دبابات الجنرال لوكلير ضواحي ستراسبورغ عاصمة الالزاس ودخلت المدينة نفسها محررة القسم الغربي منها ، وعلى الاثر لحق بها المشاة الاميركيون . ولا تزال المعركة مستمرة .

بيرل هاربور – شنت مجموعة من « القلاع العظمى » غارة عنيفة على طوكيو في وضح النهار . والقت قنابل زنة الواحدة منها عشرة اطنان على الاحياء الصناعية في العاصمة اليابانية . وكان رد المدفعية المضادة عنيفاً

باريس – تألفت الجمعية الاستشارية في فرنسا من ٣١ حزباً وهيئة تمثل جميع نواحي النشاط الفرنسي .

لندن ٢٤ – سقطت جزيرة « اوزيل » الواقعة في خليج ريغا في ايدي القوات الروسية . وبسقوط هذه الجزيرة يتم تطهير جمهورية استونيا .

لندن ٢٥ – حررت ستاسبورغ بكاملها من الالمان باستثناء جيوب صغيرة